



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عمار ثليجي الأغواط
كلية العلوم الانسانية و الاجتماعية
قسم التاريخ
تخصص: تاريخ حديث و معاصر



الجهاد البحري في المغرب الاقصى خلال القرن 17م

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر الأكاديمي في التاريخ

إشراف الاستاذ:

- كمال مايدي

إعداد الطالبتان:

1/- فاطمة رحوي

2/- فاطمة جليل

السنة الجامعية: 2015-2016



شكر و عرفان

قبل كل شيء نشكر العلي القدير الذي رزقنا من العلم ما لم نكن نعلم وأعطانا من القوة
والمقدرة ما احتجنا للوصول إلى هذا المستوى وإتمام هذا العمل .

نتوجه بالشكر الخاص و الجزيل إلى الأستاذ الكريم مايدي كمال الذي شرفنا بقبوله المتابعة
والإشراف على هذه المذكرة والنصائح والتوجيهات التي قدمها لنا ونشكر أيضا الأستاذ
كعبوش بومدين وكل من ساعدنا من قريب أو من بعيد لإتمام هذا العمل .



الإهداء :

إلى من علمني العطاء بدون إنتظار إلى من أحمل إسمه بكل فخر وإعتزاز إلى أبي الغالي "احميدة"
إلى ملاكي في الحياة... إلى معي الحب والحنان... إلى بسمه الحياة وسر الوجود إلى من كان دعاؤها
سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب أُمي الغالية "خديجة"
أرجو من الله أن يمد في عمرهما ليرو ثمارا قد حان قطفها

إلى شموعي المنيرة إخوتي وخاصة أخي الأكبر الغالي "محمد" الذي كان سنداً وعوناً لي مادياً
ومعنوياً وإلى أخي "يوسف وياسين وسفيان وصغيري عمر" حفظهم الله لي وإلى أعز أعمامي ناصر
أتمنى له التوفيق في حياته وإلى جدتي وإلى الصديقة والحبيبة التي ساندتني طول العام "طمطومة فليل"
التي لن أنساها أبداً وعمي العبد ورواحته وأولاده وإلى خالاتي وأولادهم وإلى أبي الثاني زوج عمتي
توراق وفتيحة وأولادها وعمتي لائح وأولادها وإلى عزيزتي وفاء ورفيقتي فاطمة جليل وأمينة وإيمان
وسند وأمينة وسند وفاطمة وخلة والحمة وسهام وسعيدة وسعيدة وخطيبة أخي عربية وعذبية ووفاء
من نيارت وإلى كل من يعرف فاطمة رحوي في إقامة "الأخوات بج" وإلى كل طلبة السنة ثانية
ماستر وإلى كل سكان بلدية البيضاء و"العجالات الأحرار" وإلى كل من أحبهم قلبي ونسيتهم
قلمي أهدي هذا العمل...

فاطمة رحوي

عرف المغرب الأقصى تعاقب عدة أسر حاكمة منذ قرون مضت ، تميزت كل واحدة منها بخصائص إنفردت بها عن الأخرى ،ولكن لم تدم أي أسرة من أسر المغرب الأقصى بطول العمر كانت في مقدمتهم الأسرة السعدية ، هاته الأخيرة التي عرفت أزهى عهودها خلال فترة المنصور بحيث إكتملت تنظيمات الدولة وتقوى نفوذها ليشمل جميع مناطق المغرب وزادت هيبتها على الصعيد الدولي ، وقد انفتح المغرب على تيارات حضارية وانتعاش الحياة الإقتصادية في النصف الثاني من القرن 16م ،لكن بعد وفاة المنصور عرف المغرب اضطرابات سياسية خطيرة على الرغم من الأبحاث التي حققها في مختلف الميادين ،فإنه أساء إلى الدولة بتوليئه العهد أحد أسوء أبنائه سيرة ، ففتح بذلك خرقا إستحالي وثقه ،وقضت الدولة قرابة نصف عمرها في نزاع مسلح على العرش منذ وفاة المنصور وهذا النزاع عطل كل جهود الدولة عن مواجهة المحتلين الدخلاء ، بحيث كان تقسيم المغرب إلى مملكتين هما مملكة مراكش ومملكة فاس بين أبناء المنصور أكبر مشجع لهم على التمرد .

ثم تلتها الأسرة العلوية التي قام ملوكها بضم الشمل ،ففي فترة الأشرف العلويين برز المغرب كقوى إقليمية بدأت نضالها ضد القوى الصوفية ،ومما ساعدهم على الإنتصار عدم وجود خطر أجنبي يهدد مصالحهم لذلك تهيؤ لإقامة دولتهم التي تعتبر الدولة الثالثة في تاريخ المغرب الأقصى من حيث نسبها الشريف .

وبمرور الوقت دخل حكم العلويين في مجموعة من الفتن والقلقل الداخلية والخارجية المتمثلة في أطماع الدول الأوروبية ، التي أصبحت تهدد بإستمرار إستقرار المغرب ووحدته تحت راية الإسلام بإعتبارها منطقة إستراتيجية هامة بحيث تطل على واجهتين إحداهما على المحيط الأطلسي والأخرى على البحر المتوسط ، وقربها من مضيق جبل طارق الذي يعد من أهم طرق العالم .

ومع توالي الهجرات الأندلسية إلى المغرب وخاصة في فترة العهد السعدي الثاني المتميزة بالخصوص بإستقرار المهاجرين الأندلسيين في مصب أبي الرقراق وتطوان ، وبمحاولتهم خلق كيان خاص بهم نتيجة الإضطرابات التي عرفها المغرب آنذاك فقد استقرت خلال القرن 17م جالية مهمة منهم بسلا حيث كان لهم إمكانيات كبيرة في الجهاد البحري وتقويته وتنميته ، فكان للهورناتشين دور فعال في بناء الأسوار، إذ أن المورسكيين كانوا حدثا لافتا في تاريخ البلاد ، وقد استفاد المغاربة أيضا إستفادة من الخبرة الأندلسية في البحر وفي مجالات أخرى ، فقد كانوا شعبا حيويا نشيطا ذو حضارة راقية ممزوجة بين حضارة الشرق والغرب ، فشهد بذلك المغرب الأقصى في ظل وجودهم أزهى عصور الجهاد البحري ، كما إكتسب أسطولا من أقوى الأساطيل البحرية في تلك الفترة هذا الأخير الذي ذاع صيته عبر مختلف مناطق العالم وأصبح مهابة لمختلف الدول الأوروبية.

- "الجهاد البحري في المغرب الأقصى في القرن 17 م" وذلك للوقوف على مختلف أوضاع المغرب الأقصى في تلك الفترة والتطرق لأهم الأحداث التي كانت سائدة فيه آنذاك خاصة في المجال البحري ، وعن الدور الذي لعبه مجيئ المورسكيين إلى المغرب وتأثيرهم فيه، وأهم السلاطين الذين كان لهم دور فعال في تقوية الجهاد البحري ومدى تأثيره على العلاقات المغاربية الأوروبية.

- الإطار الزمني للبحث :

وقد حددنا زمن دراستنا بالقرن السابع عشر وذلك لكونه أزهى وأقوي عصور القرصنة العالمية عامة والمغربية خاصة ، فقد أطلق على القرن السابع عشر قرن القرصنة الذهبية.

- إن البحث في هذا الموضوع يمنحنا الفرصة للإجابة على كثير من التساؤلات

المتعلقة به ولهذا يمكننا طرح الإشكالية التالية : كيف كان تأثير عملية الجهاد في

بناء العلاقات الخارجية ؟

- إضافة إلى إدراج تساؤلات هي :

كيف كانت بدايات الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال القرن 17 م ؟

ماهي الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى أواخر القرن 16م وبداية القرن 17م ؟ وكيف

تحول الجهاد البحري إلى قرصنة ؟ و ما مدى تأثير هذه الأخيرة على العلاقات الخارجية

للمغرب الأقصى في هاته الفترة ؟

وللإجابة على كل هاته التساؤلات وللتعرف أكثر على مجريات الأحداث التي يحتويها

موضوع دراستنا ،إقتضى الأمر منا وضع خطة بحث والتي بدأت : بمقدمة وفصل تمهيدي

وفصلين آخرين عالجا فيهم موضوع الدراسة ثم خاتمة إحتوت حوصلة لما خرجنا به من

البحث ، وأحقتها بمجموعة من الملاحق و بيبليوغرافيا وفهرس للموضوعات .

أما المقدمة فقد عرفنا فيها بالموضوع والإشكالية المراد معالجتها ، وبيننا أسباب إختياره

والخطة المتبعة لعرضه ،إضافة إلى بيان مصادره ومراجعته وأهم العراقيل التي صادفتنا في إنجاز

.

- المدخل كان معنون كالتالي :

1/" الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى أواخر القرن 16 وبداية 17 "والذي تحدثنا فيه

عن ظروف وفاة المنصور والصراع بين أولاده ، كما تطرقنا إلى أهم الزعامات المحلية القائمة

في تلك الفترة (الحركة العياشية والحركة الدلائية) وصولا إلى العلويين وكيف اتسمت فترة

حكمهم في المغرب الأقصى .

2/ أما الفصل الأول الذي جاء تحت عنوان :من الجهاد البحري إلى القرصنة ،أدرجنه تحت ثلاثة مباحث والتي تضمنت :تعريف للجهاد البحري وعوامل ظهوره بالمغرب الأقصى كمبحث أول وأهم القواعد البحرية للجهاد به (جمهوريات أبي الرقراق) كمبحث ثاني، وكذا أهم طرق ووسائل الجهاد البحري في المغرب الأقصى منها: السفانة والمعدات الحربية والإمكانات البشرية والموارد المالية للجهاد البحري كمبحث ثالث.

3/ أما الفصل الثاني الموسوم ب :

تأثير القرصنة على العلاقات الخارجية للمغرب الأقصى والذي تظمن ثلاثة مباحث تناولنا فيها :

مواسم ومراحل الجهاد البحري وطرق توزيع الغنائم في مبحثه الأول ،منتقلين للمبحث الثاني بعنوان : الأسطول البحري بين التفعيل و الإنكماش وذلك بالإشارة إلى جهود السلاطين العلويين في تنشيط الأسطول في هاته الفترة والذين كان لهم صدى كبير في تفعيل عمليات الجهاد وتقوية الأسطول المغربي ،وختمنا الفصل بمبحث ثالث موسوم ب: إنعكاسات القرصنة على العلاقات المغاربية الأوروبية وردود أفعال هته الأخيرة تجاهها والملاحظ هنا أنه في هذه الفترة تطورت علاقات المغرب الأقصى السياسية مع البلدان الأوروبية بعدما قويت شوكته و إزدادت هيئته لدى الدول الكبرى وخاصة بعد معركة وادي المخازن ، بحيث كانت علاقة المغرب مع اسبانيا هي علاقة دولة إسلامية مع أخرى مسيحية وكذلك هو الحال بالنسبة لفرنسا وبريطانيا ،وذلك أن الفترة الممتدة بين أوائل القرن السابع عشر ميلادي إلى نهاية القرن الثامن عشر ميلادي تميزت بشيء من التوازن السياسي و الإقتصادي وحتى العسكري ،و لاننفي أن العلاقات الأوروبية المغاربية قد تخللتها أزمات وحركات دامية فيها فترات مهادنة توحى بالتعايش السلمي والتلاقح الحضاري .

- المنهج المتبع والموظف في هذا الموضوع :

يجمع بين المنهج التاريخي السردى والوصفى بحكم تعدد إشكاليات البحث وتنوعها ،فالتاريخي السردى لسرد وتدوين الأحداث ، أما الوصفى لوصف أوضاع المغرب الأقصى في جميع المجالات ؟

ولإتمام دراستنا هاته إعتمدنا على قائمة ببليوغرافيا متنوعة بين المصادر والمراجع ،والتي ساعدتنا على إمطة الثام عن بعض القضايا التاريخية .

- أسباب إختيار الموضوع :

لقد وقع إختيارنا لهذا الموضوع لأسباب عديدة منها :

1- محاولة الوقوف على المخططات السياسية التي ميزت تاريخ المغرب الأقصى بصفة عامة ،وما ميز فترة وفاة المنصور الذهبي ،بالإضافة إلى أن هذه الفترة التي نحن بصدد دراستها لم تحضى بما يكفي من الإهتمام من طرف الباحثين ، فأردنا المساهمة في إثرائها ولو بالقليل من خلال تطرقنا إلى الجهاد البحري محاولين الإمام بمختلف جوانبه.

- الدراسات المتعلقة بالموضوع :

1 / المصادر المعربة :

تاريخ الدولة السعدية التاكدادارية للمؤلف مجهول ،نشره جورج كولان سنة 1944م وحققه عبد الرحمان بنحادة .

كتاب قراصنة سلا للمؤلف روجي كواندرو وأيضاً كتاب تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية عام 1900م للمؤلف رزجرز .

- المصادر :

كتاب نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري ،تح: محمد حجي وكتاب موجز تاريخ سلا (1000م/1800م) لكينيث براون .

كتاب نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي :لمحمد الصغير الوفرائي المراكشي ،يعتبر أكمل كتاب عن الدولة السعدية وأكثرها موضوعية في تاريخ الدولة السعدية وفي علاقات المنصور الخارجية

/2 المراجع :

كتاب التاريخ الدبلوماسي للمغرب لعبد الهادي التازي الذي تناول أيضا علاقات السعديين مع الدول الأوروبية ،إضافة إلى كتاب المغرب عبر التاريخ لإبراهيم حركات وكتاب تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى) لمحمود علي عامر ومحمد خير فارس ،وكتاب الجهاد البحري في مصب أبي الرقراق لحسن أملي ،وكتاب الزاوية الدلائية لمحمد حجي ،وكتاب الحركة العياشية لعبد اللطيف الشاذلي .

. أما باللغة الأجنبية : كتاب

Fernandpraudel :

lamediterranee et le mondmediterraneenar

الذي أفادنا في دراسة مواسم الجهاد البحري .

- أما المذكرات فهي كالتالي :

- مذكرة عمر فايد:علاقات المغرب السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية

- مذكرة الشافعي درويش: علاقات الإيالات العثمانية في غرب المتوسط مع

إسبانيا خلال القرن 10هـ/16م

- مذكرة جمال سهيل : البعثات الدبلوماسية المغربية إلى البلاط الفرنسي خلال

القرن 11هـ/17م.

- المجالات :

مجلة دعوة الحق (الأسطول المغربي أيام العلويين)

مجلة أمل المغربية (من أوجه علاقات المغرب الخارجية عبر التاريخ)

وككل بحث أكاديمي تعترضه بعض العراقيل تحول دون إتمامه ، فقد إعتزضتنا ،مجموعة من الصعوبات ولعل من أبرزها :

نقص الخبرة والتجربة في ميدان البحث العلمي وخاصة في دراسة كتب اللغة الأجنبية

ضيق الوقت لإنجاز هذه المذكرة المحدد بسداسي واحد .

صعوبة التحكم في المادة العلمية وترتيبها ترتيبا منظم .

صعوبة قراءة بعض المصادر وفهم مقاصد مؤلفيها .

ونأمل في الأخير أن يكون هذا البحث قد ساهم في توضيح جوانب كثيرة من الموضوع والله المستعان .

المبحث الأول: وفاة المنصور (1012هـ/1603 م) والصراع بين أولاده

عاش المغرب الأقصى خلال الفترة الأولى من القرن 17 م أزمت حادة تجلت في اضطرابات سياسية وإقتصادية وإجتماعية عملت على زعزعة أركان الدولة المغربية آنذاك، بحيث إعتلى الشرفاء السعديون عرش المغرب خلال النصف الأول من القرن 16م فتصدوا بحماس لغزو البرتغال وتحرير الثغور المحتلة مدة ستين عاما من (1510 م) تاريخ قيام محمد القائم بأمر الله بسوس وجهاده ضد البرتغال في المناطق الجنوبية متخذاً من قرية تيدسي قرب مدينة تارودانت أول عاصمة للدولة السعدية¹ إلى غاية حدوث معركة وادي المخازن في سنة: (986هـ-/1578م)²، وهي مدة طويلة حقق خلالها السعديون مكاسب مهمة، لكنها لم تسجل إنتصار نهائي على الإحتلال الإسباني، الذي ظل يتواجد بعدد من المدن المغربية كطنجة وسبتة³.

¹ إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر السعدي، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، 1585، ص 46.

² معركة وادي المخازن: معركة الملوك الثلاثة (عبد الملك المعتمد وعبد الله المتوكل ودون سبستيان) وقعت في 30 جمادى الأولى 1578 م كانت ذات صبغة صليبية بالنسبة للمغرب فإنه أحرز بها كيانه وتفادى خطر إحتلال الشواطئ التي كان قد حررها، كما أن هذا النصر جعل الأتراك يترددون عن محاولاتهم في ضم المغرب، وانسحبت آثار هذه المعركة على العلاقات الأروبية بشكل أكثر مما هو متوقع عليه من معركة محلية حيث فتحت صفحة جديدة للعلاقات بين المغرب وأوروبا بل بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي أنظر: عبد الله كنون، عبد الملك المعتمد بطل معركة وادي المخازن، في مجلة المناهل: العدد 13، وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية، المغرب، 1918، ص 18.

³ تعتبر أول مركز تم إحتلاله من طرف البرتغال سنة 1415م وقد تم ذلك بمساعدة النصارى المقيمين بهذه المدينة، وخلال هذه المرحلة كانت الدولة المرينية تعيش مرحلة الإنحطاط الذي لازمها منذ هزيمتها في معركة طريف، أنظر: محمد بن القاسم الأنصاري السبتي، إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ج 1، تح: عبد الوهاب بن منصور، ط 2، الرباط (1404 هـ / 1983 م) ص 15.

ومع أحمد المنصور الذهبي¹، عرف المغرب عظمة كبيرة، ووضعت معركة وادي المخازن الشهيرة (1578) حدا للأطماع الخارجية وأخذت الدول الأجنبية تخطب ود العاهل المغربي وتتقرب إليه بالسفارات والهدايا مما أتاح للسعديين² فرصة الإهتمام بتوسيع نفوذهم، الذي إمتد إلى حدود بلاد السودان جنوبا وباحتلال المنصور للسودان تدفقت على المغرب سيول من الذهب والرقيق ساهمت في تنشيط الحركة الاقتصادية فعم الرخاء وساد الإستقرار والأمن داخل البلاد، لكن هذه الوضعية سرعان ما تبددت بعد وفاة المنصور 1603 م³، وذلك بفعل تضافر مجموعة من العوامل، من جهة قد وزع المنصور إمارة أهم أقاليم المغرب على أبنائه ومنحهم كافة الصلاحيات السياسية بما في ذلك حرية الإتصال والتعامل مع الدول الأجنبية، حتى غدت إدارتهم شبه حكومات مستقلة، وحمل ولي العهد لقب خليفة السلطان ليتمتع بالإمتيازات نفسها التي كان يحضى بها الملك تقريبا⁴.

¹ ولد عام 956 هـ كان عالما سياسيا أدبيا، إجتمع فيه الزعامة وإشترط الإمامة وكان حريصا على المحافظة على حدود الشريعة، أشد الخلفاء إنقياد للشرع منصفا لصاحب الحق، تولى الخلافة 1578متوسعت فتوحاته حتى بلغت بلاد السودان، أنشأ قوة عسكرية سميت بجيش النار وله مجهودات عمرانية (قصر البديع، أبراج مراکش) توفي 1012 هـ/ 1604 م، أنظر: أبي الفارس عبد العزيز القشتالي، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء**، تح: عبد الكريم كريم، مطبوعات وزارة الأوقاف، المغرب (د.ت.) ص 198.

² يذهب السعديون إلى أنهم من أولاد علي بن ابي طالب وقال البعض من المؤرخين بصحة هذا النسب زمن بينهم الناصري فيقول: (اعلم ان هؤلاء السعديين كانوا يقولون أن أصل سلفهم من ينبع النخل... وأنهم من ولد محمد وأنهم كانوا يرفعون نسبهم... فهم بنواعم السادة العلويين) ويورد لنا كتاب الإستقصاء من طعن في صحة نسبهم، كذلك سمو بالسعديين لأن المغاربة كانوا يتفاءلون بهم، أنظر: محمود الشيت، **خطاب قادة فتح المغرب العربي**، ج 2، ط 7، دار الفكر، لبنان، 1984، ص 202.

³ تسلط على المغرب وباء خطير ذهب ضحيته آلاف الأشخاص من بينهم عدد كبير من العلماء وكان أحمد المنصور احد هم فتوفي بفاس في أوت 1603 م ودفن بها ثم نقل إلى مراکش ليدفن بقبور الشرفاء السعديين، وتذكر روايات أن سبب وفاة المنصور كان بتدبير من زوجته عائشة بنت أبي بكر الشيبانية والدة زيدان التي قامت بتسميم المنصور لأنه أوصى بولاية العهد لإبنه أنظر: إبراهيم حركات، **المغرب عبر التاريخ** (عرض لأحداث المغرب وتطوراتها في الميادين السياسية والدينية والفكرية منذ ما قبل الإسلام إلى العصر الحاضر) ج 2، من بداية المرينيين إلى نهاية السعديين، دار الرشاد، الدار البيضاء، 2015، ص 273.

⁴ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 47.

وبالتالي فقد غدت لديهم رغبة الإستيلاء والسيطرة على الحكم¹.

ومن الأحداث الهامة التي عاصرت فترة الإضطرابات ظهور رجال التصوف ورجال الجهاد وتأسيس العديد من الزوايا، ومن أهم الحركات هي حركة أبي العباس عبد الله السجلماسي الذي عرف بلقب "أبو محلي" الذي ادعى أنه من نسل العباسيين وسلك طريق التصوف، مستغلا الفوضى الناجمة عن صراع الأمراء السعديين²، وكانت هناك ثلاث قوات رئيسية متنازعة هم: الأتراك والإسبان والإنجليز حاولوا بسط نفوذها على الثغور الهامة في المغرب فالصراع المرير الذي كان بين أولاد المنصور وأحفاده فتح الباب أمام الأطماع الخارجية³.

- النزاع على الملك وضعف الدولة السعدية :

بعد وفاة المنصور دخل المغرب نفقا مظلما حيث تنازع على الملك ثلاثة من أبنائه وهم: زيدان الذي بايعه أهل فاس وأبو فارس الذي بوع بمراكش ومحمد الشيخ المأمون الذي أطلقه هذا الأخير من السجن ليقوم بمناصرتة في مواجهة أخيهما زيدان في موقعة الحواثة عند وادي أم الربيع⁴، أرسل أبو فارس أخاه المأمون على رأس جيش إلى فاس، إنتصر المأمون على زيدان ودخل فاس حيث بايعه أهلها، أرسل المأمون جيشا بقيادة ابنه عبد الله إلى مراكش تغلب على أبي فارس ودخل مراكش وأباحها لجيشه وعامل أهلها بقسوة شديدة إلتفى المراكشيون حول زيدان الذي كان قد سيطر على الجنوب .

¹ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 48 .

² محمد رزوق، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و 17 م، مطابع إفريقيا الشرق، المغرب، 1958 م، ص 190

³ عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي (دراسة في التاريخ الإسلامي) مجلد 03، ج 5، مكتبة المدبولي، القاهرة، 1994، ص 375 .

⁴ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 91 .

وبعد معارك قاسية إستقر الأمر بقيام مملكتين سعديتين إحداهما في فاس على رأسها المأمون والثانية بمراكش¹ على رأسها زيدان الذي كان في نظر الأوروبيين وقسم كبير من المغاربة هو السلطان الشرعي لأنه سيد عاصمة السعديين مراكش²، إستعان المأمون خلال صراعه على السلطة بالإسبان مقابل تسليمهم العرائش³ مما أثار غضب مشائخ المغاربة ولهذا لم يطل عمر مملكة فاس فقد إنتهت سنة 1626م أما مملكة مراكش فقد واجهت مصاعب عديدة مع القوى الصوفية التي سيطرت على الجنوب ، كما نشب الصراع بين أولاد زيدان الذين قتل بعضهم بعضهم الآخر ، وإنتهت سنة (1659م) بحيث سيطرة عرب الشابات⁴، على مراكش بعد أن قتلوا آخر السلاطين السعديين أبا العباس أحمد ، وكانت مدينة فاس قد تعاقب عليها كل من زيدان ومحمد الشيخ وعبد الله بن الشيخ ثم محمد زغودة ابن المأمون وعبد الملك بن الشيخ (1623/1626م) الذي كان مجرد امير داخل فاس ثم خلفه أحمد بن زيدان (1627/1628م) .

¹ أسسها بن تاشفين حوالي 1052م ويرجع بعضهم أصل تأسيسها إلى أقدم من ذلك ، وأن يوسف بن تاشفين قام بتحسينها مستعملا لذلك ثلاثين ألف أسير لنهي تشييدها في أقرب وقت ، وهي غنية بالقمح والتمر واللحم والسمن ، أنظر: مارمول كرنجال ، إفريقيا ، ج2 ، تر: محمد حجي وآخرون ، الجمعية المغربية للتأليف ، الإسكندرية ، 1988. 1989 م ، ص 46 .

² محمود علي عامر ومحمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ، ليبيا) ، ج1 ، الجمعية التعاونية للطباعة ، دمشق ، (د . ت .) ، ص 75 .

³ أوعرائش بني عروس بلغة البلاد مدينة قديمة أسسها أهل البلاد على السواحل عند مصب أهل اللكوس يحدها النهر من جهة المحيط من جهة أخرى ، أنظر: مارمول كرنجال ، المصدر السابق ، ص 188

⁴ هي قبيلة عربية إستقرت بإقليم سوس وكانوا من أنصار الدولة السعدية ، أنظر : عبد الكريم مصطفى ، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، 1996 ، ص 37 .

الذي قام بقتل ابن عمه محمد زغودة أما فيما يتعلق بمراكش فبعد وفاة زيدان سنة 1628م، تمت مبايعة أبو مروان عبد الملك بن زيدان¹.

- **وفاة زيدان**: توفي بعد فترة حكم دامت زهاء ربع قرن (1603م. 1627م) وهي فترة مضطربة تخللتها فتن وفوضى واضطرابات كانت سببا في ضعف السلطة المركزية وبالتالي ساهمت في تعطيل كل الجهود التي كان ينبغي أن تصرف في البناء الداخلي وفي مواجهة الأطماع الخارجية وتحرير الثغور المحتلة².

- **تعاقب أبناء زيدان على الحكم**:

ترك زيدان من أولاده عبد الملك والوليد وأحمد ومحمد الشيخ وغيرهم، ولما توفيزيدان كما ذكرنا ببيع من بعده ابنه عبد الملك ولما تمت له البيعة ثار عليه أخواه الوليد ومحمد الشيخ ف وقعت بينهما حروب ومعارك إلى أن هزمهما وإستولى على ذخائرهم وعدتهم بحيث كان فاسد مطموس البصيرة وكان يشرب الخمر بكثرة إلى أن قتله العلوج بمراكش وهو سكران يوم الأحد ودفن بها³.

لما هلك السلطان مولاي عبد الملك بن زيدان ببيع أخوه مولاي الوليد (1045هـ/1630.1635م) يوم وفاة أخيه وكان الوليد متظاهرا بالديانة ليرضاه الخاصة والعامة، وكان مائلا للعلماء متواضع، وكان يقتل الأشراف من بني عمه وإخوته حتى أفنى أكثرهم وسجن أخاه محمد الشيخ الأصغر خوفا أن ينزع منه الملك، وفي أيامه حدثت زلزلة عظيمة وبرد قوي إلى أن قتله الأعلاج أيضا وكان ذلك بسبب المطالبة بالأجور سنة (1045. 1635 م)⁴.

¹ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 76.

² أبو العباس أحمد الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، ج 6، تح: جعفر الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1418هـ/1997م، ص 83.

³ محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفرائي، نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، تح: هوداس، مطبعة أنجي، 1888م، ص 244.

⁴ محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله الوفرائي، المصدر السابق، ص 245.

- محمد الشيخ الأصغر : (1046هـ/1635. 1653م):

بعد وفاة الوليد بن زيدان تم إخراج محمد الشيخ الأصغر من السجن فباعه أهل مراكش في 22 فيفري 1636م وكان محمود السيرة متواضعا محبا للخير ،ورغم طول فترة حكمه فإن سلطته لم تتجاوز مراكش وفي عهده قوي نفوذ الزاوية الدلائية ،وبدأت تتطلع لإقامة دولة تخضع لها جميع مناطق المغرب فأحتلت بذلك مدينة فاس ودخلت في صراع مع السعديين إنتهت بإنهزام جيش محمد الشيخ الأصغر في معركة بوعقبة 1638/1048م وفي عهده بدأ العلويون دعايتهم السياسية وقد توفي محمد الشيخ الأصغر سنة (1653.1046م) بعد فترة حكم كانت الدولة السعدية خلالها تلفظ أنفاسها الأخيرة ،كل هاته العوامل أدت إلى زوال الدولة السعدية ،منها صراع الأخ مع أخيه على الحكم.¹

- نهاية الدولة السعدية:

تمثل هذه الفترة فترة الضعف والانقسام في تاريخ الدولة السعدية بالمغرب ،فقد أدى التنافس للوصول إلى السلطة بين أفراد الأسرة السعدية إلى سلسلة من الحروب الدموية بحيث أضعفت الجهة الداخلية وأضررت بإقتصاد البلاد وشجعت الطامعين وأصحاب المصالح على الإقدام على إغتصاب المناطق والثغور المهمة في البلاد ،ثم تولى ابو العباس أحمد بن محمد (1654 / 1659) الأمر بعد وفاة والده وهو يعتبر آخر ملوك السعديين وفي عهده قوي نفوذ أخواله الشبانات فأرادوا الإستبداد بالملك فأشارت عليه أمه بالتوجه إليهم ومحاذتهم فقتلوه.²

¹ شوقي عطاء الله الجمل ،المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ،تونس ،الجزائر ،المغرب) ،ط1، مكتبة أنجلوا المصرية ،القاهرة ، 1987 م، ص 203 .

² أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ،المصدر السابق ،ص84 .

كان ذلك سنة (1658م) وبايعوا زعيمهم عبد الكريم الشباني الملقب بالكروم الذي إستولى على السلطة بمراكش وأعمالها بإستثناء أسفي¹، التي رفضت الخضوع له، وعبثا حاول عليها لكنه فشل في ذلك وقد إستمر حكمه مدة وصلت حوالي عشر سنوات من (1069 هـ/1079م) عرفت خلالها البلاد أزمة خانقة تمثلت في إرتفاع الأسعار وحدوث المجاعة حتى أقبل الناس على أكل الجيفة، وقد تم إغتياله على يد بعض جنوده (1668م)، فتولى ابنه أبو بكر الشباني الذي لم يدم حكمه أكثر من أربعين يوما إذ سرعان ما تولى المولى الرشيد من مدينة مراكش فخرج أبو بكر الشباني فارا إلى أن قبض عليه وتم إعدامه مع جماعة من أصحابه وبقضاء المولى الرشيد على إمارة الشبانان وبدخوله مراكش تنتهي الدولة السعدية لتقوم مكانها دولة ناشئة بتافيلالت.²

دخلت الدولة السعدية مع مطلع القرن 17م مرحلة حاسمة من تاريخها السياسي، وقد شكلت هذه المرحلة بداية النهاية للدولة، فموت أحمد المنصور الذهبي 1603م، جعل البلاد تعيش مشاكل على مستوى الخلافة وأنه لم يحسم في هذا الأمر قبل وفاته، فنشب صراع بين أبنائه حول السلطة مما أدى إلى إنقسام المغرب إلى مملكتين مملكة مراكش ببيع فيها أبو فارس ومملكة فاس ببيع فيها زيدان، وأدى صراع الأخوين إلى حرب بحث فيها كل طرف عن الأحلاف، فإتصل زيدان بعد هزيمته بالأترار، أما محمد الشيخ الذي تخلى في الحروب لصالح أبي فارس فقد إنقلب عليه وأعلن نفسه حاكما على مدينة فاس وإستنجد بالإسبان مسلما إياهم العرائش وبذلك يكون قد حطم إحدى الركائز التي قام عليها الحكم السعدي، ألا وهي الجهاد والذي كان يجمع حول السعديين القوى المحلية وبالتالي بدأ عدد معارضيهم

¹ تعتبر مدينة أسفي من أعرق المدن المغربية نظرا لعراقتها في القدم فقد إختلف الباحثون والمؤرخون في أصل نشأتها وعلى يد من تم بناءها فمنهم من قال :أما مدينة بربرية وآخر أنها مدينة فينيقية وقائل أنها كنعانية وآخر إسلامية إفريقية، غير أن المتعارف عليه أنها مسكونة منذ القدم، أنظر: الناصري، المصدر السابق، ص 86

² هي الدولة العلوية الناشئة، وأعتبرت عبر تاريخها العميق من المراكز الحضارية المهمة والتي إستقطبت العلماء ورجالات الفكر والأدب وساهمت في صناعة النهضة المغربية العلمية، أنظر: محمد لعميري وآخرون، الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19م، منشورات الأداب وحدة سلسلة الندوات والمحاضرات، رقم 3، الدار البيضاء، 1994، ص 23.

يزداد وفي الفترة نفسها إزداد الثقل الضريبي على السكان ،فتجنيد الجيوش وتسليحهم تطلب من الإخوة مصاريف مالية كبيرة أضطر على إثرها رفع الضرائب على السكان والذهاب إلى حد إغتصاب هذه الأموال من أصحابها ، كما فعل محمد الشيخ والمأمون مع أعيان فاس.¹

- تردي الوضع الإقتصادي والاجتماعي :

لقد إنعكس تردي الأوضاع الإقتصادية وظهور الأوبئة والمجاعات على الوضع السياسي في المغرب الأقصى ،يقول حسن الوزان "يظهر الوباء في بلاد البربر على رأس كل عشر سنوات أوخمسة وعشرين سنة وعندما يأتي يذهب بالعديد من الناس"،وقد كثرت الأوبئة مع مطلع القرن 17م حتى نهايته ،فالوباء الطويل الذي ظهر سنة (1006هـ/1598م) إستمر سنة (1016هـ/1607م) ذهب من ويلاته خلق كبير من مختلف الفئات الإجتماعية بما في ذلك السلطان أحمد المنصور (1603م) وتعاقت مجموعة من الكوارث الطبيعية دفعت القبائل إلى اللجوء من جديد للزوايا التي تضاعف نفوذها في نفس الوقت ،ونتيجة لضعف السلطة المركزية تدهور الإقتصاد المغربي وزاد من حدة التحولات الجهوية والدولية التي أدت إلى فقدان المغرب لجزء من موارده الإقتصادية الرئيسية ،فتدهورت صادرات السكر بفعل التحول الذي شهدته التجارة الصحراوية لفائدة الأروبيين.²

وقد إستفاد الأتراك من ضعف الحكم السعدي في الجنوب المغربي فحولوا القوافل التجارية نحو الشرق ،فإنهات مداخل المخزن المغربي وتدهور الإقتصاد وتضررت الحرف والصناعات في المدن فتعمقت أزمة البلاد وتنافست الإمارات المتعددة المصالح ونمت حركة الزوايا من جديد و إستهدف أصحابها إقامة كيانات سياسية مستقلة عن السلطة المركزية ،ولذلك تقاسمت النفوذ في البلاد أمارات مختلفة منها: إمارة ابن أبي المحلي ،الحركة العياشية، الزاوية الدلائية ،الزاوية السملاوية ،وأخيرا الحركة العلوية.

¹ مجهول ،تاريخ الدولة السعدية التكمداقية ،تح:عبد الرحيم بن حادة ،ط1،دار تينمل للطباعة والنشر ،مراكش ،1994م،ص 104.

² محمد خير الدين فارس ،المرجع السابق ،ص 70 .

وقد تميزت هاته الفترة بوفادة عدد كبير من المورسكيين على المغرب فهذا البلد قد إستقبل منهم من 60 إلى 80 ألف في سنوات (1018.1609م) و ما بعدها¹.

¹ محمد بن الطيب القادري، نشر المثنائي لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح: محمد حجي، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996م، ص 107.

المبحث الثاني: الزعامات المحلية

تميز المغرب الأقصى منذ نهاية القرن 15م إلى نهاية القرن 17م بكثرة الزوايا والتي برزت منذ نشأتها كقوة مادية ومعنوية تمتعت بتأثير كبير في جميع المجالات الدينية والاجتماعية والإقتصادية، حيث جمعت بين العبادة والتصوف ونشر العلم وتوفير الحماية للناس، وإستنفارهم وتعبئتهم لمواجهة التهديدات والإعتداءات الأجنبية، ومن هنا بدأت الزاوية تتسم بالطابع السياسي حيث تعتبر نهاية الوطاسين وقيام الدولة السعدية البداية الرسمية لدخول الزاوية في النشاط السياسي، وكان هذا ناتج عن عدة أسباب أهمها:

- الدور الإيبيري الإستعماري لسواحل المغرب، والذي ساهم في ظهور حركة جهادية تحريرية كان للزاوية الدور الكبير فيها
 - رؤية الزوايا للنظام وفشله وتقاعسه عن الجهاد، وحماية الأوطان
- ومن أهم الزوايا والحركات الجهادية التي ظهرت في أواخر العهد السعدي نجد الحركة العياشية في الشمال الغربي، والحركة الدلائية في وسط وشرق البلاد¹.

¹ محمود على عامر، المرجع السابق، ص 86.

● الزاوية العياشية:

أولاً: تأسيسها

أسست هذه الزاوية خلال القرن 17م، عام 1634/1044-1635م في الأطلس الكبير وتحديدًا في أحواز سجلماسة المتاخمة للصحراء، حيث تقيم قبيلة آيت عياش البربرية الأصل¹، وأصبحت تسمى اليوم الزاوية الحمزاوية نسبة إلى حمزة بن أبي سالم العياشي الذي لعب دورًا كبيرًا في تنشيط الحركة العلمية فيها، وبذل كل ثروته في إقتناء الكتب واستنساخها² وقد تأسست هته الزاوية على يد أبوعبد الله محمد بن أبي بكر العياشي³ حيث كان كثير التردد على الزاوية الدلائية، وإتصل بأبرز علماءها، ولما تأكد شيخه محمد الدلائي من قدرته على إستقطاب المريدين أمره بتأسيس زاوية بجبل عياش لإيواء المريدين وتقديم الطعام وتنظيم حلقات الذكر وقضى عبد الله العياشي أكثر من عشرين سنة يرشد ويدرس وينظم الجهاد.

وكان له الفضل في بقاء الزاوية العياشية⁴، وكان أمر توليه أن سأل السلطان زيدان بن أبي أحمد الذهبي بعد أن توفي قائد الحفص في حدود 1611م/1612م عمن يليق بذلك الثغر والقيام بوظيفة الجهاد فقبل له: " سيدي محمد العياشي " فكتب له بتوليه ذلك⁵،

1 أبي سالم العياشي، إتحاف الإخلاء بإنجازات المشايخ الأجلاء، تح: محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1999م، ص 11

2 محمد الزمزمي، الزاوية وما فيها من البدع والأعمال المنكرة، مطبعة إسبارطيل، دط، دت، ص 17.

3 ولد سنة 1573م عمق معارفه في الفقه والأصول وخاصة التصوف، وقد تتلمذ على أبرز شيوخ وقته ومن أجلهم أمثال الدرعي، توفي سنة 1641م وخلفه عدة من أولاده، أنظر محمد الأفراحي، صفوة من إنتشر من صلحاء القرن الحادي عشر، تح: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2004، ص 325.

4 أبو عبد الله بن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، تح: زهراء النظام، ط1، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، 1997م، ص ص 26-27.

5 عبد اللطيف الشاذلي، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط1، 1984م، ص 83.

وبذلك إكتسب العياشي الصفة الرسمية للعمليات العسكرية والجهادية ،وهكذا واصل العياشي جهاده ورباطه على سواحل المغرب يدافع عن ثغوره ويعلي بها الإسلام إلى أن توفي على يد بعض اللصوص في قبيلة الخلط بموضع يسمى عين القصب ،ولما قتل العياشي فرح النصارى بمقتله غاية الفرح وأعطوا البشارة لذلك ،وقد رمزوا بتاريخ وفاته بقولهم: " مات زرب الإسلام " ¹

ثانيا: نشأة الحركة العياشية الجهادية

في نهاية العقد الأول من القرن 17م بدأ حديث الناس في مراكش وغيرها يدور حول قائد من قواد الجهاد في دكالة وهو محمد بن أحمد العياشي لما له من الشجاعة والإقدام والمعرفة بمكائد الحرب ولما كبّده من خسارات للبرتغال المستقرين بالجديدة ،ولقد كان أول إتصال للعياشي بدكالة حينما وجهه شيخه عبد الله بن سحنون إلى تلك المنطقة حوالي 1012هـ/1604م وأذن له بالجهاد بعد أن تضايق أهل فحص البريجة من عمليات البرتغاليين المحيطين بهم ² ،وقد ظهر العياشي في ظل تحرك الإسبان نحو احتلال السواحل المغربية كالمعمورة والميلية ³ وسبتة ⁴ وطنجة ⁵ والعرائش ومازيغن ،ومحاولة منهم التغلغل وسط المغرب حيث قاد حركة جهاد ذاع صيتها في كامل أرجاء المغرب وخارجه ،وإلتف الناس حوله وإزدادت شعبيته وقد كانت علاقة العياشي بالسلطة المخزنية في بداياتها علاقات تقارب وتعاون اتسمت

¹ أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ،المصدر السابق ،ص 297 .

² عبد اللطيف الشاذلي ،المرجع السابق ،ص 81 .

³ كانت تعيش على عائدات الجهاد البحري الذي كان يستهدف السفن الأسبانية والبرتغالية مما دفع بالتفكير بإحتلالها من طرف الإسبان وقد ساعد على ذلك إنفصالها عن السلطة المركزية وسيادة الفوضى والإضطراب مما سهل عملية الإحتلال سنة 1497م بقيادة خوان دوكزمان ،أنظر محمد بن قاسم الأنصاري السبتي ،المصدر السابق ،ج 1، ص 81.

⁴ تعتبر أول مركز تم إحتلاله من طرف البرتغال سنة 1415م وقد تم ذلك بمساعدة النصارى المقيمين بهذه المدينة وخلال هذه المرحلة كانت الدولة المرينية تعيش مرحلة من الإنحطاط الذي لازمها منذ هزيمتها في معركة طريف ،أنظر نفسه ،ص 15.

⁵ إحتلالها البرتغال في عهد محمد الشيخ الوطاسي 876هـ/1471م أسبوعا بعد إحتلال مدينة أصيلا وقد بدأ تخطيط البرتغال لإحتلال هذه المدينة سنة 1437م منذ ذلك الحين تكررت محاولات السيطرة إلى أن سقطت المدينة سنة 1471م ،أنظر العياشي ،عيوب طنجة في التاريخ المعاصر ،1800/1956م ،في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والمدرسة العليا للترجمة بطنجة ،الرباط ،1991م ،ص 8.

بالسمع والطاعة وعدم الخروج من طرف العياشي ، كما كان يبعث إلى السلطان الغنائم¹، وقد إستمر هذا الأخير في ممارسات عمليات عسكرية ضد المعمورة والعرائش أولا ، ومحاربة المجموعات البشرية المناوئة له أو التي يشكل تصرفها عرقلة في سبيل تحقيق الجهاد كتمرد بعض القبائل وكذا النزاع القائم بين أنصار العياشي وأبناء النقسيس² في تطوان³

ثالثا : التصادم مع السلطة وسقوط العياشيين

كان أول صدام بين العياشي والسلطة سببه التحالف بين بعض رجال السلطة والجواسيس الإسبان العاملين لدى زيدان ، حيث أخذوا يخيفون هذا الأخير من العياشي ويقدمونه كرجل طموح إلى الملك ، فقام زيدان بتوجيه كتيبة من 400 فارس بقيادة محمد السنوسي مكلفة بالقبض على العياشي وقتله ، إلا أن قائد الفرقة بعث للعياشي خفية أن أنجو بنفسك⁴.

غير أن هناك روايات أخرى تفسر سبب رحيل العياشي إلى دكالة ، ومن بين هذه الروايات رواية مؤلف مجهول صاحب كتاب الدولة السعدية الذي يذكر أن رحيل العياشي كان بغن من المولى زيدان عندما وفد إليه وفد من سلا يطلب النجدة والإغاثة ضد المحتلين⁵ ، وراح العياشي يواصل عمله الجهادي في سلا ضد الإسبان وبرز حينها كقائد وزعيم روحي لسكان المدينة ، ولم يرق ذلك لزيدان فحاول أن يقبض عليه ووجه الأمر إلى عامله بالرباط فثار الموركسيون لما علموا بالخبر وطردهوا العامل السعدي⁶

1 شوقي عطالله الجمل ، المرجع السابق ، ص 200 .

2 كان لأولاد النقسيس ظهور كبير بتطوان ونواحيها ، وقد تولو مقرونة بلقب "المقدم" و إرتبط إسم هذه العائلة بالجهاد أنظر: محمد داود ، تاريخ تطوان ، دط ، معهد مولاي الحسن ، تطوان ، المغرب ، 1999م ، ص 173 .

3 مدينة مغربية صغيرة بناها الأفارقة القدامى على بعد 18 ميل من المضيق و 6 أميال من البحر وتيط تعني عين الماء الجارية وتطاوين

جمع لتيط ، أنظر: الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج 1 ، تر: محمد حجي ، ط 2 ، منشورات الجمعية المغربية ، 1998م ، ص 318

4 أبو العباس أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ط 1 ، 2007 ، م 3 ، ص 389 .

5 المجهول ، المصدر السابق ، ص 94 .

6 العربي الصقلي ، مذكرات من التاريخ المغربي ، من تميمين الدولة إلى المخاطر ، ج 3 ، دط ، الرباط ، المغرب الأقصى ، 1985م ، ص 252 .

وهذا مازاد من حدة الوضع حيث ظهرت قوة شكيمته في منازلة العدو الأروبي فذاع بذلك في البلاد صيته ، الأمر الذي أقلق السلطان السعدي زيدان بمراكش وأدى إلى سعاية الحاشية في عزل العياشي عن قيادة الثغر ، وأدى كل ذلك إلى خروجه من أزمور إلى سلا حيث ضيق على النصارى وأقر الأمن حتى إعترف شيوخ المنطقة برئاسته¹ ، وبعدها تواردت المراسلات من كل جهات الوطن تطلب بإلحاح أن يمस्क بمقاليد الأمور ، وتلقى في نفس الوقت تشجيع عدد من الزوايا الكبرى ، كما أعلن أهل فاس تخليهم عن البيعة للدولة السعدية سنة 1632م معبرين له عن مدى استعدادهم للإعتراف به سلطانا على البلاد ، قبل العياشي وهذا بعد موافقة أهل مكناس وقبائل الشاوية وتطوان² ، استمر العياشي في الجهاد وقد تعددت الإشتباكات بينه وبين الإسبان والبرتغال حيث إتبع في حربه ومواجهاته حرب العصابات واعتمد على نظام الجوسسة ، وكان العياشي يتلقى على إثر هذه المعارك رسائل التهئة بالنصر من مختلف جهات المغرب³ ، وكانت آخر غزواته أو معاركه ضد المحتلين بطنجة سنة 1051هـ/1641م ولاشك في أن ما ساعد العياشي على الإستمرار هو قدرته على إلهاب الحماس في الشعب وإثارة حميتهم ضد المستعمر ، فأصبحت المنطقة من الجديدة إلى طنجة مسرحا لعملياته وأصبح نفوذه في هذه المناطق قويا ، أكثر من نفوذ السعدين في مراكش⁴ .

في أوائل مارس 1641م تواجه محمد العياشي مع قوات محمد الحاج الدلائي وعلى إثر هذه المعركة إنهمز العياشي ، ومن هنا توجه نحو الشمال الشرقي حيث إلتقى مجددا بمحمد الحاج وكانت المعركة الفاصلة ، حيث إنهمز أتباع العياشي⁵ ، ووسط مكائد الدلائين وإضطراب الأعوان من الأندلسيين

¹ أبي سالم العياشي ، ماء الموائد للعياشي الرحلة لليبيا طرابلس وبرقة ، تح: سعد زغلول وآخرون ، دط ، دت ، الإسكندرية ، ص 26

² العربي الصقلي ، المرجع السابق ، ص 256 .

³ محمد الصغير الأفراني ، المصدر السابق ، صص 266-267 .

⁴ محمد علي عامر ومحمد خير فارس ، المرجع السابق ، ص 204 .

⁵ عبد اللطيف الشاذلي ، المرجع السابق ، ص 138 .

الموركسين بسلا والنصارى الطامعين بساحل المغرب في أزموور، وحاشية السلطان بمراكش نكث عرب المنطقة - حلفاء الدلائيين . بيعتهم للمجاهد العياشي¹، فلجأ العياشي بعد إنخراطه إلى قبيلة الخلط وكان ذلك إيذاناً بهلاكه، حيث تم إغتياله في عين القصب التي تبعد عن سوق أربعاء الغرب بـ 20 كلم، وكان ذلك يوم 19 محرم 1051هـ/ 21 أبريل 1651م، واحتزوا رأسه².

الزاوية الدلائية :

أولاً : أصل الدلائيين

الدلائيون نسبة إلى دلاء قبيلة من صنهاجة ومنها فخذة آل محاط الذين كانوا يقطنون أعالي واد ملوية، ثم إستقر جدهم أبو بكر بن محمد المجاط الملقب بالوجاريوالمزموري بتادلا³ حيث بنى الزاوية الدلائية، وذلك بشرقي حنيفرة في قبيلة آيت إسحاق، وكان رئيس الزاوية أحياناً يسمى صاحب جبل درنة⁴، وقد تأسست الزاوية في الثلث الأخير من القرن العاشر هجري حوالي عام 974هـ/ 1566م على يد أبو بكر بن محمد الدلائي⁵ بإشارة من شيخه أبي عمرة القسطلي⁶ وذلك لنشر الطريقة الشاذلية ولإطعام الفقراء وأبناء السبيل، والواقع أن هناك زاويتان قديمة وحديثة فالقديمة التي أسسها أبو بكر

¹ أبي سالم العياشي، المصدر السابق، ص 26.

² أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 440.

³ إقليم غير شاسع يتدلى من نهر العبيد وينتهي عند نهر أم الربيع، أنظر الحسن الوزان، المصدر السابق، ص 176.

⁴ إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 293.

⁵ هو محمد بن سعيد المجاطي الدلائي ولد سنة 943هـ/ 1537م، كراماته ومناقبه كثيرة سمع من الشيخ أبي عمر القسطلي وأخذ عنه الشاذلية، توفي سنة 1021هـ/ 1612م ودفن بزاوية الدلاء، أنظر محمد الصغير الأفراني، المصدر السابق، ص 106-107.

⁶ كانت له بمراكش وسائر بلاد المغرب شهرة عظيمة أخذ عن الشيخ عبد الكريم الفلاح توفي في العشرة الثامنة دفن على مقربة من الشيخ محمد بن سليمان الجزولي برياض العروس، أنظر محمد بن عسكر الحسني الشفشاوني، دوحه الناشر، تح: محمد حجي، ط2، دوحه الناشر، مطبوعات دار التأليف للترجمة والنشر، الرباط، 1977، ص 108.

الدلائل وبها ضريحه، والزاوية الدلائية الحديثة التي أسسها السلطان محمد الحاج الدلائويهي التي تقوم على أنقاضها زاوية آيت إسحاق الحالية¹.

وقد شهدت الزاوية الدلائية في بداية عهدها العصر الذهبي للسعديين ثم أدركت زمن الفتنة والتدهور غير أنها نظرا لمناعة موقعها في جبال الأطلس، ولمكانة رجالها الصالحين استطاعت أن تحتضن الثقافة الإسلامية في عصر عصفت فيه الإضطرابات بالمراكز العلمية التقليدية مثل فاس ومراكش وما صاحب ذلك من فواجع طبيعية وكوارث تمثلت في المجاعات والأوبئة وإنقسام وحدة البلاد وتكالب القوات الأجنبية عليها إلا أن زاوية دلاء إنتصبت في هذا الضرف الدقيق كملاذ للعلم والدين فعمرت زهاء قرن من الزمن²، كما نجح الدلائيون في حماية الأطلس الأوسط من الفوضى التي عمت المغرب إثر وفاة أحمد المنصور³، وبوفاة أبو بكر خلفه إبنه محمد على رأس الزاوية الدلائية، بعدما عاش حوالي ثمانين سنة، وفي أيام محمد بن أبي بكر، إتسع نفوذ الزاوية الدلائية إلى الأطلس الكبير⁴

ثانيا : الدلائيون والسياسة:

لم يكن الدلائيون في بادئ الأمر لايهتمون إلا بالناحيتين الدينية والعلمية فالشيخ أبو بكر مؤسس الزاوية كان زاهدا في الدنيا عزوفا عنها وسار محمد بن أبي بكر على نهج والده، وظل يعترف بسلطة السعديين ملوك مراكش حتى بعد أن مزقت الحوادث شملهم وعلى الرغم مما كان له من نفوذ لدى القبائل البربرية في الأطلس المتوسط إلا أنه لم يحاول الاقتراب من السياسة والسلطان، وكان يدعو إلى السمع والطاعة والتمسك بالوحدة والجماعة⁵.

¹ محمد حجي، الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي، المطبعة الوطنية بالرباط، دط، 1384هـ/1964م، ص 31.

² أحمد بوكاري، الزاوية الشرقاوية زاوية أبي الجعد وإشعاعها العلمي والثقافي، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1985م، ص 163.

³ محمود علي عامر ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص 74.

⁴ محمد داود، المرجع السابق، ص 85.

⁵ محمد حجي، المرجع السابق، ص 131.

وكانت وفاة محمد بن أبي بكر الدلائي سنة 1046هـ/1637م، وقد بعث السلطان السعدي محمد الشيخ خديمه مبارك السوسي لتشييد ضريح محمد بن أبي بكر الدلائي، وكانت هذه المبادرة من الملك السعدي من أجل إستمالة محمد الحاج¹ الذي خلف والده محمد².

وبقدوم هذا الأخير بدأت الزاوية الدلائية تتحول إلى قوة سياسية إستمدت نفوذها من الرفض البربري للسلطة السعدية، حيث إستهدفت سهول الشمال وقامت بإلحاق هزائم كبرى بالجيش السعدي من أهمها هزيمة معركة بوعقبة 1048هـ/1638م ومن هنا تحولت الحركة إلى سلطة قائمة خاصة بعد سيطرتها على مدن الشمال بعد مقتل آخر الأمراء السعديين أبي العباس سنة 1659م³، حيث وبعدما تأكد محمد الحاج من فشل السعديين إتجه إلى العياشي وأعد له حملة كبيرة للقضاء عليه وتمكن منه بالفعل، وخلا الجو للدلائين وتساقطت في أيديهم المدن والأقاليم تبعا، فملكوا فاس بعد حصار دام ستة أشهر وعين ابنه عاملا عليها سنة 1061هـ، ثم استولوا على سلا وتطوان وسائر بلاد المغرب⁴.

ثالثا : المنافسة الدلائية العلوية على السلطة:

كان من الطبيعي أن يطمح الشيخ الدلائيمحمد الحاج إلى عرش المغرب في مثل هذه الظروف، وقد نجح بسرعة في تجاوز حدود زاويته وتحويل الرصيد العقائدي إلى مشروع سلطة إستقطب الغضب البربري، وصاغ طموحات ذلك الليف القبلي الذي سئم الضغط السعدي، فبعد إخضاع الساحل الأطلسي إتجه الشيخ الدلائي بجيوشه نحو الجنوب لمقابلة ومنازعه خصمه العلوي محمد بن الشريف الذي أعاد الإعتبار لمفهوم الشرف، وهب بحركته من درعة وتفيلا لتب الجنوب الشرقي لغزو السلطة وإعادتها إلى

¹ ولد في مدينة الدلاء عام 997هـ/1588م، مات مسموما تزعم الحركة الدلائية ضد السعديين الذين رأى فيهم أنهم لم يعودوا يصلحون لحكم المغرب الأقصى، للمزيد أنظر محمد بن الطيب القادري، المصدر السابق، ص 107.

² عبد اللطيف الشاذلي، المرجع السابق، ص 127.

³ ابراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ص 294.

⁴ محمد حجي، المرجع السابق، ص 157.

الأشراف من جديد¹، وقد تمكن محمد الحاج الدلائي من إلحاق الهزيمة بجيوش الشريف محمد العلوي في واقعة القاعة أو القارة سنة (1056هـ/1646م) والتي أدت إلى إنتصار الدلائيين ودخولهم إلى سجلماسة، لكن تم توقيع صلح حددت بموجبه مناطق النفوذ بين الشريف العلوي والزاوية الدلائية²، لكن ذلك لم يدم طويلا فسرعان ما هبت مدينة فاس لإقتبال الشريف العلوي ومبايعته في 1649م والتخلص من النفوذ الدلائي، وبذلك بدأ المسار العلوي يخطو خطاه الثابتة، فحتى إنتصار دار الرمكة في سنة 1650م لم يعد للحركة الدلائية قوتها فتوالت عليها الهزائم وتراجع نفوذها وتقلصت رقعتها، ولم تحل سنة 1677م حتى تمكن العلويون من القضاء نهائيا على طموحاتها السياسية، وإرجاعها إلى حيز الزاوية فدخلت بذلك بلاد المغرب الأقصى تجربتها الشريفة الثانية³.

● العلاقة بين الزعامات المحلية والسلطة:

تميزت العلاقة بين العياشي والبلاط السعدي بالإحترام المتبادل والمجاملات، فبعد الانتصارات التي حققها العياشي، قام المولى زيدان بإستمالته ومكافئته بعمالة أزموور ليضل شوكة في جنب البرتغاليين، إلا أن العلاقة سرعان ما تحولت إلى عدااء وتمرد عن السلطة الرسمية، بعدما أصبحت له قاعدة شعبية لا يستهان بها، مما أدى بزيدان إلى محاولة التخلص منه خوفا من الإنقلاب عليه⁴.

أما عن علاقة الحركة الدلائية مع السلطة الرسمية كانت طبيعية تقوم على السمع والطاعة والتمسك بالجماعة لأن مؤسسها أبو بكر الدلائي إنسان زاهد عابد، وكان همه الوحيد القيام بواجبه الديني وقد سار على دربه ابنه محمد، إلا أن الحال تغير مع محمد الحاج الذي رفض الإعتراف بالحكم السعدي⁵.

¹ دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث خلال المصادر، مركز النشر الجامعي، ميديا كوم، دط، 2003، ص 27.

² شوقي عطاءالله الجمل، المرجع السابق، ص ص 210، 214.

³ عبد الكريم كريمة، المغرب في عهد الدولة السعدية، المملكة العربية للنشر، الرباط، ط3، ص 335.

⁴ عبد اللطيف الشادلي، المرجع السابق، ص 845.

⁵ محمد حجي، المرجع السابق، ص ص 158، 168.

- المبحث الثالث: تأسيس الدولة العلوية

يرجع نسب الأسرة العلوية إلى الحسن بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأول من جاء من هذه الأسرة إلى المغرب هو المولى حسن بن قاسم في القرن 7هـ¹ فاستوطن في سجلماسة²، وكانت للمولى علي الشريف جد الأسرة العلوية الشريفة مواقف مشرفة في الجهاد بالسودان فقد كان أهل سجلماسة وسائر المغرب يقصدونه في المهمات الصعبة التي كانوا يتعرضون لها، ولم تقتصر مكانة المولى علي الشريف على المغرب فقد وصل صيته إلى الأندلس³، وقد ظهرت قوى جديدة دخلت في صراع فيما بينها لإقرار سلطتها على مجموع التراب المغربي، ومن بين هذه القوى الحركة العلوية التي ظهرت بالجنوب الشرقي للمغرب وإستطاعت أن تفرض وجودها على المستوى السياسي، وأن تعوض مكانة السعديين في السلطة، وفي هذه الظروف بدأت نشأة الحركة العلوية، والواقع أن هذه الحركة لم تظهر بدافع الجهاد أو الدفاع عن التراب الوطني، والدارس لتاريخ المغرب الأقصى يجد تشابها كبيرا في تاريخ الدولتين (السعدية والعلوية) وخاصة في الأصل الشريف، فالدولة السعدية قامت على فكرة الجهاد ضد الإيبيريين المحتلين للثغور، أما الدولة العلوية فظهرت كقوة إقليمية تناضل ضد القوى المحلية والصوفية المحيطة بها، والمراد قوله هنا هذه الحركة هدفها إقتصادي بمعنى الدفاع عن الطرق التجارية والحماية مصالحها التجارية مستغلة بذلك الفراغ السياسي⁴.

¹ محمد الصغير اليفرائي، المصدر السابق، ص 26.

² مدينة عتيقة أسسها بنو مدرار في القرن 2هـ وكانت عاصمة لإقليم (تافيلالت) إلى ما بعد القرن الحادي عشر للهجرة 17م وما زالت أطلالها إلى حدود اليوم أنظر: محمد حجي، المرجع السابق، ص 157.

³ شوقي عطاء الله الجمل، المرجع السابق، ص 218.

⁴ عبد الكريم كريمة، المرجع السابق، ص 312.

وعدم وجود قوة مركزية تعمل على فرض الأمن¹، وقد كان المغرب في هذه الفترة مقسما بين الدلائين الذين سيطروا على مدينة فاس وأبو حسون السملالي²، الذي تركز بإقليم سوس والأطلس الكبير والخضر غيلان الذي سيطر على منطقة الشمال، أما السعديون والشبانات فكانوا في مراكش وضواحيها، ولما توفي أبو حسون السملالي (1070هـ) خلفه في شؤون منطقة سوس ابنه محمد، إلا أن هذا الأخير لم يكن ذا حنكة مثل والده فدخل المولى الرشيد تارودانت ليواصل فتوحاته بسوس إلى أن سقطت عاصمة* إيليغ* وهكذا صفا للسلطان العلوي أمر سوس وفي سنة (1082هـ)³، قاد حملة جهادية ضد المحتلين لطنجة وقضى على جل الثورات التي ظهرت بسوس، وهكذا تمهدت له الظروف لقيام دولة ناشئة.⁴

. عهد المولى إسماعيل بن الشريف (1139هـ/1672م. 1727 م) :

هو المولى إسماعيل بن محمد الشريف ثالث مؤسسي الدولة العلوية في المغرب وثاني سلاطينهم وأبرز ملوكهم، عرف بتدينه رؤوف ومشفق وكان محب للفروسية وقد أخذ الثورة التي نشبت ضد أخيه الرشيد في تازا وقد نازعه أخوه المولى الحران على الملك وانتصر عليه 03 جوان 1672 م.⁵

¹ عبد الكريم كريمة، المرجع السابق، ص 313 .

² المعروف بأبي حسون بو دميعة ظهر بسوس لما ضعف أمر زيدان ابن السلطان أحمد المنصور، بحيث إستولى على رودانة وسائر منطقة سوس بجنوب المغرب كما وسع نفوذه بحوض درعة المجاور ثم سحلماسة بتافيلالت لما توفي سنة 1070هـ خلفه ولده أبو عبد الله محمد وبقي أميرا على منطقة السوس، أنظر: محمد الضعيف الرباطي، تاريخ الضعيف، بتح: أحمد عماري، ط1، دار المأثورات، الرباط، 1986م، ص 07 .

³ محمد خير فارس، المرجع السابق، ص 79 .

⁴ يحيى جلال، المولى إسماعيل وتحرير الثغور المحتلة، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1983، ص 36 .

⁵ نفسه، ص 38 .

ـ أعماله :

وقد واجه أحمد بن محرز والخضر غيلان والمولى هاشم وقضى على كل الثورات في عهده بواسطة المكر والدهاء وقد نجح في فرض الدولة المركزية ، وأزال الزعامات القبلية والدينية والسياسية وقد حقق نمو إقتصادي بتشجيع القبائل على الزراعة والري وتربية الحيوانات ،

وقد إعتنى بالمواصلات وأنشأ جيش من أبناء العبيد الذين جلبهم السلطان أحمد المنصور إلى المغرب¹.

وقد بنى المولى إسماعيل مدينة مكناسة من جديد وجعلها مقر ملكه وقد نهضت الثقافة في عهده وبنيت المدارس وعمرت المساجد والزوايا ، وكانت هناك علاقات تجارية داخلية وخارجية وقاوم القرصنة و إستعاد معظم الموانئ المغربية².

ـ قال له أحد الشعراء:

وأطلت أيام السرور فلم يصب من قال أيام السرور قصار

وجبرت من جرح الذمات فكذبت أقوالهم جرح الزمان جبار³

ـ حصار وتحرير الثغور المحتلة :

لقد عمل السلاطين العلويين على تقليص نفوذ زعماء الطرق الصوفية في الحياة السياسية ، فتولوا الجهاد وتحرير الثغور بأنفسهم وخاصة في عهد المولى إسماعيل الذي عمل على تحرير ميناء المعمورة (المهدية) التي إحتلها البرتغاليون (920 هـ . 1515م) في عهد أبي عبد الله الوطاسي

¹ محمد السايح ، المولى إسماعيل العلوي ، في مجلة دعوة الحق ، العدد 2 ، الرباط ، 1959 ، ص 27 . 32

² أبو القاسم الزباني ، الترجمانة الكبرى ، باريس ، 1886 م ، ص 15 .

³ نفسه ، ص 17 .

ودخلت تحت نفوذ الإسبان سنة (1022 هـ .1614م)¹.

- وقد جرت عدة محاولات لتحريرها قبل مجيء العلويين ،ولكنها باءت بالفشل وفي يوم السبت (1092هـ .1681م) قامت القوات المغربية بقيادة عمر بن حدو البيطوي تساندها قوات من حاميات مكناس و فاس و تيطوان ،فحاصرت المدينة ونصبوا المدافع على نهر *سبو* من ناحية البحر لكي يمنعوا وصول الإمدادات إلى الإسبان.

ثم حضر السلطان إسماعيل على رأس جيش آخر بلغ تعدادة خمسة ألف مقاتل ،مما جعل القائد الإسباني يعترف بالإستسلام .

وقد حصل المغاربة جراء ذلك على غنائم كثيرة منها مائة مدفع وكميات كبيرة من الذخائر وأسرو ثلاثمائة جندي إسباني وبعد تحريرها غير السلطان إسمها من المعمورة إلى المهدية وأسكن فيها مجموعة من جيش السوس (العبيد) لتعميرها وحراستها.²

¹ إبراهيم حركات ،المرجع السابق ،ص 46 .

² نفسه ،ص 47 .

ويمكن أن نذكر تحرير وقائع بعض المدن منها :

أ. العرائش :

وهي من المدن التي حررها السلطان مولاي إسماعيل وتعتبر من أهم الثغور أهمية نظرا لموقعها الإستراتيجي على نهر اللوكوس، محاطة بأسوار وحصون قوية تحتوي على ثكنات عسكرية ومخازن للقمح ومصانع للبارود¹، وقد بدأ حصارها في 14 أوت (1689 م) مدة 15 شهرا بقيادة أحمد بن حدو فأضطر الإسبان إلى التحصن بحصن* القبيبات* الذي شيده المنصور ورغم المقاومة الشديدة التي أبدتها الإسبان إلا أنهم إستسلموا في 01 نوفمبر (1689م) وتم نقلهم إلى مكناس لإستخدامهم القصور والقصبة الملكية عددهم حوالي 3200 رجل.²

ب. أصيلا :

تعتبر ثاني محطة في مخطط السلطان المغرب تقع بين طنجه والعرائش لذلك تم حصارها مدة سنة كاملة، إستأمن الإسبان على مغادرة المدينة فأمنهم ولكن لم يطمئنا فغادروها ليلا عن طريق البحر سنة (1691 م) فدخل المغاربة المدينة وعادت إلى حظيرة الدولة من جديد.³

ج. سبتة :

لقد ضمت هذه المدينة إلى التاج الإسباني سنة (1580 م) وخلال أحداث إستقلال البرتغال عن إسبانيا طلب أعيان هذه المدينة البقاء تحت التاج الإسباني لذلك سويت إتفاقية* لشيونة*¹³ فيفري (1668 م) وأرجعت بذلك إلى إسبانيا لذلك قام السلطان مولاي إسماعيل بتعداد جيش قوامه 25

¹ جلال يحيى، المرجع السابق، ص 116 .

² نفسه، ص 117 .

³ إبراهيم حركات، المرجع السابق، ص 48 .

ألف مقاتل وحاصرها في (1691 م) ثم تجدد (1694 م) و(1695 م) إلى غاية (1713 م) وكان يقود الجيش علي بن عبد الرحمان الريفى إلى غاية وفاته ثم خلفه ابنه حتى وفاة السلطان ¹.

- يعود إخفاق السلطان مولاي إسماعيل في تحرير سبتة إلى إصرار الحكومة الإسبانية على الإحتفاظ بهذه المدينة بأي ثمن لأنهم كانوا يخشون فقدان قواعدهم نهائيا في شمال إفريقيا من جهة وإنتتاح سبتة على البحر من جهة أخرى، مما سهل على الإسبان بتزويدها بالإمدادات في (1720م) جهز فيليب الخامس حملة سرية تستأنف من 16 ألف جندي بقيادة "كباليرودليد و ثم ماركيز دوليدو" كان الهدف منها إبعاد الجيش المغربي بحيث طال حصارها مدة 30 عاما وقد إستطاع الإسبان من السيطرة على سبتة إلى غاية يومنا هذا. ²

. مليلة :

بهدف إسترجاع الأراضي المغتصبة عمل السلطان إسماعيل بإحاطة مليلة بأبراج وحركوا ضدها العمل الجهادي وإستطاع المغاربة هدم الأبراج بقيادة عمر الذي عينه السلطان ³، وعلى الرغم من تخطي منطقة الأبراج ومراقبة أسوار المدينة وبابها الغربي بحيث أشرف المغاربة على هضبة علوية ترأب من خلالها المباني الداخلية لمليلة لذلك وجه القنصل الفرنسي "دي كاتالان" رسالة إلى كوليرا في 23 أوت (1671م)، يخبره بأن المدينة بكاملها محاصرة من طرف سلطان المغرب بستة عشر ألف جندي وإستمرت هذه الهجمات حتى وفاة السلطان دون نتيجة تذكر.

¹ أحمد بن خالد الناصري، المصدر السابق، ص 77 .

² الرباطي، المصدر السابق، ص 191 .

³ عبد الرحمان بن زيدان، الدرر الفاخرة بمأثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الإقتصادية، الرباط، (د.ت.ن)، ص 58 .

فخلال سبع سنين تمكن من تحرير كل من المهديّة والعرائش ثم طنجه وأصيلة على التوالي وجرت محاولات تحرير كل من سبتة ومليلة.¹

. وفاة السلطان المولى إسماعيل : (1139 هـ . 1727م) :

تلاه عهد إضطرابات وفتن لتنازع أبنائه على الحكم وتدخل الجيش وأخذ ينشر الفساد وتشيع الفوضى وتسوء حالة البلاد الإقتصادية مدة 30 عاما إلى أن أنقذ البلاد حفيد للسلطان إسماعيل وهو محمد بن عبد الله (1117هـ 1757م) كان قد كان قد أظهر في عهد أبيه قدرة سياسية حين عينه حاكما لمنطقتي مراكش وأسفي في دكالة ثم عينه قائدا فنظم الجيش وأقر الأمن في السوس وبعد إستيلائه على صولجان نشر الأمن وشيد الأبراج والحصون وإهتم بالأسطول وزوده بالعتاد الحربي وأضاف إليه طائفة من السفن ،وأمر أن يواصل البحارة والجنود تدريبات ومناورات منتظمة على المتوسط والزقاق والمحيط .²

وكان البرتغاليون قد نزلوا في ميناء الجديدة (المعمورة) شمال سلا سنة (1182. 1769 م) فطردهم منها وبني ميناء الصويرة في منطقة حاحة غربي مراكش ووثق الدولة بالدولة العثمانية وتبادل معها الهدايا تأكيدا للمودة توفي سنة 1204 هـ 1789م.

وعادت البلاد إلى الإضطراب والفوضى في عهد ابنه اليزيد ولم يلبث أن توفي سنة 1792م ،وتولاها أخوه سليمان لنحو ثلاثين عاما وثارت بينه وبين أخويه هشام ومسلمة حروب ،خرج منها بعد طول عناء ليظل بقية أيامه ينازل بربر الأطلس التلي والأطلس المتوسطي .

¹ حسن الفقيحي ،مواقف جهادية للمولى الرشيد والمولى إسماعيل في الدفاع عن مليلة ،في مجلة دعوة الحق ،عدد 258 ،الرباط 1986م ،ص 28 . 41 .

² شوقي ضيف الله ،تاريخ الأدب العربي عصر الدويلات والإمارات (الجزائر. المغرب الأقصى . موريطانيا السودان) ط 1 ،دار المعارف ،القاهرة ،ص 1119 .

وولي بعده ابن أخيه عبد الرحمان بن هاشم حتى (1276هـ . 1859م) وشغل بثورات داخلية ، وإحتل تلمسان حين إحتلت فرنسا الجزائر وهزم في موقعة إيسلي وخلفه ابنه محمد حتى سنة (1290- 1874م) وقضى على ثورة الجيلالي الزرهوني و إحتلت إسبانيا تطوان ثم إنسحبت منها بمقتضى معاهدة ، وتلاه ابنه الحسن وهو من أهم سلاطين الدولة العلوية ، وقد نشر الأمن في ربوع البلاد وأرسل البعث إلى أوروبا وأخذ يرقى بالبلاد حضاريا وفكريا ، وعهده الزاهر يعتبر إفتتاح العصر الحديث في المغرب الأقصى.¹

مجل القول

إن أوضاع المغرب الأقصى من وفاة أحمد المنصور الذهبي سنة 1012هـ / 1603م إلى غاية سقوط الدولة السعدية بحيث كان ذلك نتيجة التنافس والقتال على السلطة بين أبنائه وهم : زيدان ومحمد الشيخ وأبو فارس وأل النقسيس ، لذلك دخلت الدولة السعدية مرحلة ضعف وتفكك ما أدى بسقوطها فالمغرب الذي عرف بذهبية أحمد المنصور آل إلى التجزؤ والإنقسام في عهد أحفاده مما أدى بأولاد المنصور أن يطلبوا يد العون من الإسبان طمعا فيهم فعادت القوى الدينية والقبلية إلى نشاطها على نطاق واسع ، وتفككت أواصر الدولة وكثرت الفتن في فاس وباقي المغرب وبقي السعديون في مراكش إلى أن إنقرضت دولتهم 1659م بمقتل أحمد بن محمد الشيخ بن زيدان وإستيلاء أخواله آل الشبانات على الأمر 1668م حين دخلها مولاي الرشيد بن محمد الشريف السجلماسي² .

وقبل أن يتمكن أبناء الشريف بن علي من القضاء على كل الإمارات التي أنشأتها تلك القوى على حساب دولة السعديين بعد أن أنهكتها الفتن الداخلية ، بحيث لم تعد تقوى على محاربتها ، بل

¹ شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 1120 .

² أبو القاسم الزياني ، المصدر السابق ، ص 15

³ نفسه ، ص 17.

إنهارت أمامها نهائيا 1659م وبذلك دخل المغرب طور الدولة العلوية ،وإنتشار القرصنة والجهاد البحري في المناطق المغربية 3.

إستنتاج عام

إن المغرب الأقصى قد عرف أزمات مختلفة عمت جميع مناطقه بداية من القرن 11هـ/17م ،حيث بدأت بوفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي ،وتعددت وتفرعت فخلقت واقعا جديدا على هذا البلد غيرت بذلك ملامحه السياسية.

- شارك في أزمات المغرب في هذه الفترة أبناء المنصور أنفسهم ،وتطاحنوا على الملك وخاضوا حروب فيما بينهم ،مما أدى إلى قيام قوى دينية وزعامات محلية محاولتا خلق وحدات سياسية مستقلة متطاحنة فيما بينها.

- كما عرف المغرب في هذه الفترة تجدد الغزو الخارجي ،والأطماع الإسبانية خاصة للإستيلاء على الموانئ المغربية ،التي بقيت في يد المغاربة ،وظهور موجة الجهاد ضد الإحتلال.

- شهد المغرب في هذه الفترة أزمات إقتصادية وإجتماعية خطيرة ،نتيجة لسوء الأحوال السياسية والأمنية ،وتدهور البنيان الثقافي.

- في هذه الفترة لاح فجر الدولة العلوية في المغرب الأقصى ،بقيادة الشريف مولاي علي ،ثم ابنه مولاي محمد ،وآلت إلى أخيه مولاي الرشيد سنة 1666م وبعد وفاته تولى المولى إسماعيل زمام السلطة العلوية،وكان بحق المؤسس الحقيقي لهذه الدولة وباني أرنكاها وموحد ترابها.

- هذا السلطان الذي إتصف بالحذر والمرونة في علاقاته مع الدول الأوروبية ومع جيرانه الأتراك العثمانيون في الجزائر ،ثم قام إلى حد كبير بتحرير الثغور المغربية وعمل على سياسة داخلية قوية.

المبحث الأول: تعريف الجهاد البحري وعوامل ظهوره في المغرب الأقصى

أمام الإجتياح المسيحي الصليبي للشريط الساحلي المغربي ومدنه الرئيسية التي كانت تمثل مناطق الإتصال بالعالم الخارجي، أحس السكان بالضجر والإختناق، إضافة إلى عجز الدويلات المغاربية عن حمايتهم، وقد زاد الطين بلة توافد الآلاف من الأندلسيين على البلدان المغاربية هرباً من حملات التنكيل والتعذيب التي أرتكبت في حقهم، وقد حمل هؤلاء المهاجرين حقدهم على الإسبان، وفي إطار ذلك لجأ سكان المدن الساحلية المغاربية إلى عمليات الجهاد البحري ضد السفن والبوارج في عرض البحر، وقد عرف هذا النشاط بعدة تسميات وتعريفات وظفت حسب الأهداف والإستراتيجيات الخاصة بكل دولة، فعرف بالقرصنة البحرية والغزو البحري والجهاد البحري المقدس، وذلك لكلا الطرفين الإسلامي والمسيحي، ومن هنا تبادر إلى أذهاننا التساؤل التالي: هل يصح تسميتها قرصنة أم جهاد بحري؟ وما مدى مشروعية هذا الجهاد؟

أولاً: تعريف الجهاد البحري

إن المفهوم المتعارف عليه في التآليف التاريخية الإسلامية فيما يخص الحرب البحرية ضد السفن والشواطئ المسيحية هو مصطلح الجهاد البحري بكل ما يحمله المصطلح من صفة التقديس والوازع الديني، من أجل تلبية راية الإسلام أو الإستشهاد، ورغبة في الإضرار بالعدو وتحقيق الغنيمة على حسابه¹، وقد جاءت ظاهرة الجهاد البحري كرد فعل تلقائي ضد عجز الدول المغربية خاصة والمسلمين بصفة عامة لمواجهة الخطر الخارجي².

¹ رقية بلقند، البحر في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سلسلة ندوات رقم 7، جامعة الحسن الثاني، الحمدية، دط، دت، ص ص 109، 111.

² محمد العربي الشاوش، مشروعية الجهاد وفضله، في مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع1، الرباط، المغرب، مارس 1981م، ص 136.

أما في المغرب الأقصى فنعني بالجهاد البحري تلك العمليات البحرية التي كان يقوم بها المجاهدون السلاويين الأندلسيون والمغاربة ضد السفن الأروبية والإسبانية بالخصوص، فالأندلسيون كانوا يطمحون إلى الإنتقام من الإسبان الذين أخرجوهم من ديارهم ونكلو بهم والمغاربة كانوا يقصدون بذلك الدفاع عن بلدهم¹، وبذلك يعد الجهاد البحري شكل من أشكال الدفاع البحري تارة ومظهر من مظاهر الرفض الرسمي للهيمنة الأروبية².

أما عن مشروعيته فتتمثل في حالة الدفاع عن النفس والكرامة والعقيدة لقوله تعالى: "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، وأن الله على نصرهم لقدير"³

وبذلك فالأصل في الجهاد هو الدفاع عن النفس والكرامة والعقيدة وبذلك صح القول بأنه جهاد بحري⁴، كما قد ذهب ابن خلدون إلى اعتبار القتال في البحر جهادا في أكثر من موضع في الفصل الخاص بالأساطيل فيقول: "وتكررت ممارستهم للبحر وعلى ثقافته وإستحدثوا بصراء به، فشرهوا إلى الجهاد فيه فأنشأوا السفن والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح وأمطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر"⁵.

وبذلك يختلف هذا المفهوم كلية عن المفهوم الأروبي المتداول الذي يدخل هذه العمليات في إطار أعمال اللصوصية البحرية، فهناك من المصادر الأروبية من يقر بقانونية هذه العمليات وهناك من يدرجها

¹ محمد رزوق، المرجع السابق، ص210.

² محمد أمين، القرصنة وشروط إفتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن 18، في المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية، ع21، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، تونس، سبتمبر، 2000، ص24.

³ سورة الحج، الآية 39.

⁴ محمد العربي الشاوش، المرجع السابق، ص136.

⁵ ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع، بيروت، لبنان، 1224هـ/2004م، ص196.

في خانة الإجرام¹، فقد إكتسب مصطلح القرصنة لدى إستدلاله على الجهاد البحري صفة الحرب القانونية لدى البعض ومرادفا خالصا للصوصية غير المشروعة لدى البعض الآخر².

مفهوم القرصنة البحرية:

Corsa كلمة إيطالية تعني السباق ومنها إشتقت كلمة قرصان corsok وهو الذي يقوم بفعل التسابق، وقد إستعملت لأول مرة في القرن 14م بمعنى التسابق البحري للهجوم والإعتداء على السفن وسواحل الدول الأجنبية، أما في المصادر الفرنسية فلم تظهر إلا في القرن 16م فكانت في القواميس الفرنسية تعني السفن السريعة التي تؤهلها دولة ما للسطو على السفن التجارية للأعداء³.

أما لفظ قرصان فهو مشتق من اللفظ اللاتيني والذي كان يطلق في الأصل على كل سفينة مسلحة رخص لملاحيتها بأن يجوب البحار ويقاثلوا سفن الأعداء⁴.

والمفهوم العام للقرصنة هي مطاردة سفن دولة لسفن دولة أخرى في البحر وأسرها وإغراقها فإن كانت معاهدة فيعد ذلك نقضا لعهدا وإن كانت معادية فقد حلّ بها ما تستحقه لعداوتها⁵.

إن الإختلاف في تحديد مفهوم القرصنة يجعلنا أمام مفاهيم عدة لهذا المصطلح حيث إختلف المؤرخون حول تحديد مفاهيمها إلا أن المعنى العام لم يختلف عنه فإذا كانت القرصنة هي عملية النهب على مياه البحار بعيدا عن سلطان الدولة وهو تعبير لا يعبر دوما عن الواقع التاريخي للقرصنة، فهي

¹ جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا 1830/1619م، المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2007، ص ص 249-250.

² سالم عبد العزيز والعيادي مختار، تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار النهضة العربية، دط، بيروت، 1996م، ص ص 33، 51.

³ جعفر بن أحمد الناصري، سلا ورباط الفتح وأسطولهما وقرصنتها الجهادية، تح: أحمد بن جعفر الناصري، ج 3، أكاديمية المملكة المغربية، الرباط، دت، ص ص 8-9.

⁴ صبحي الصالح، الحماية من القرصنة في نظر الشريعة الإسلامية، أعمال أكاديمية المملكة المغربية، الدورة 9، الرباط، المغرب، 1986، ص 20.

⁵ وفيق بركات، فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي، معهد التراث العلمي العربي، دط، 1990م، ص 175.

كانت كثيرا ما تكون ضمن نشاطات الدولة غير الرسمية لتحقيق أهداف إستراتيجية وسياسية وإقتصادية، وغالبا ما تمارس السرقة والنهب في البحار والأنهار الملاحية أو النزول من البحار إلى الشاطئ من قبل جماعة لا يمثلون بعثة أو حملة أرسلتها دولة منظمة، ومهما يكن أمر هذه التعريفات المتباينة للقرصنة فإنها تأخذ أشكالا متعددة فهي قطع البحر واللصوصية فيه والقرصان هو من يستعملها¹.

الجهاد البحري في المغرب الأقصى:

لا يجادل أحد بشأن محدودية علاقة المغاربة بالبحر على المستوى العسكري والتجاري والغذائي، وأن هذه العلاقات مالت تدريجيا إلى التقلص بعد العهد الموحيدي .

حيث أشار ابن خلدون إلى السيطرة المطلقة للموحدين² على الحوض الغربي للأبيض المتوسط على حد أنه لم يكن المسيحيون يجرؤون حسب تعبيره إلى إلقاء مجرد خشبة به³.

غير أنه وبين القرن 14م و18م تمتد مرحلة عرف فيها النشاط الجهادي والقرصنة انتعاشا واضحا، خصوصا بعد إستقرار جالية موركسية مهمة بالرباط وسلا بعد طردها من إسبانيا بين (1609م-1610م)⁴.

¹ علي محمود فهمي، التنظيم البحري الإسلامي في الشرق المتوسط من القرن 7م حتى 10م، دط، دت، ص 127.

² حيث أن البحرية المغربية بلغت أوجها في أيام يعقوب المنصور الموحيدي وهو الذي راسله صلاح الدين الأيوبي خلال القرن السادس هجري 12م، ليساعده بقطع من أسطوله يدافع بها الصليبيين، ومنازلتهم في ثغور عكا وصور وطرابلس الشام وقد إستجاب المنصور لهذا الطلب وأمدّه ب180 سفينة حربية كان لها الفضل في منع النصارى من سواحل الشام، أنظر نفسه، ص 129

³ أحمد بوشرب، وثائق ونتائج عن الغزو البرتغالي ونتائجه، دار الأمان، الرباط، ط1997، ص 90

⁴ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين، ط1، مطبعة المدني، مصر، 1997م، ص ص 393-394.

وقد برزت رغبة أكيدة لدى المغاربة منذ مطلع القرن 16م على المستوى الشعبي أولا ثم على المستوى الرسمي ثانيا لركوب البحر من جديد، ردا على هجمات المسيحيين وإسهاما من أولئك المجاهدين في تحرير الثغور التي إحتلها الإسبان والبرتغال .

وقد إرتكز هذا النشاط الجهادي على الموانئ التي بقيت كالعرائش وتطوان فيما بين 1516م/1521م¹، حيث قام المغاربة بهجمات ناجحة ضد سفن برتغالية وتمكنوا من أسر كرافيليا برتغالية قبل دخولها ميناء أصيلا، وكان على متنها 28 نفرا منهم النبلاء

وقد أكدت بعض المصادر أن هذه العمليات الجهادية التي كانت تنطلق من تطوان دفعت الملك البرتغالي إلى التفكير في إغلاق مصب نهر مرني².

وقد كان ملاحوا تلك المراكب يقومون بالإغارة على المناطق الساحلية الإيبيرية، وبإنتظار السفن المحملة بالخير والمؤونة الموجهة إلى الثغور المغربية المحتلة من قبل الإسبان والبرتغاليين³.

وقد ذكرت بعض محاضر التفتيش⁴ حقيقة بالغة الأهمية: لم يقتصر هذا النوع من الجهاد على سكان المدن الساحلية ذوي العادات والخبرات البحرية، بل شمل كذلك أشخاص ينتمون إلى مناطق داخلية كضواحي القصر الكبير و مراكش وتارودانت وفاس⁵.

¹ إبراهيم حركات، مساهمة المغرب في حركة الجهاد البحري بعد طرد المورسكيين من الأندلس، في مجلة دعوة الحق، تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، عدد 6 و 7، السنة العشرون، الرباط، المغرب، 1979م، ص 84.

² حث العاهل الإسباني جاره البرتغالي على تنفيذ ذلك المشروع في رسالة مؤرخة في 5 ماي 1520م نصحه فيها بتشييد قلعة بذلك المصب كما طلب منه السماح له في حالة تعذر البناء عليه بإيجازه وتحمل مصاريفه، أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص 94-95.

³ أحمد بوشارب، قراصنة المحيط الأطلسي، دط، المغرب، 1998م، ص 9.

⁴ محاضر محاكمة تجار برتغاليين فيما بين 1552م/1554م لدى محكمة لشبونة بتهمة الإبتجار مع المسلمين وتزويدهم بسلع محرمة تسمح لهم بمحاربة المسيحيين كالأسلحة والعتاد والوسائل البحرية من أشربة ويوصلات، للمزيد أنظر أحمد بوشرب، المرجع السابق، ص 94-95.

⁵ نفسه، ص 95.

أهم المراكز الساحلية بالمغرب الأقصى «الثغور» :

تشكل المدن المغربية الساحلية حلقة الوصل بين المغرب الأقصى ودول أوروبا غرب المتوسط وتعرف هذه المدن في إصطلاح المؤرخين المسلمين بالثغور البحرية وهي عبارة عن مدن تمتلك سلطات عسكرية وسياسية وإدارية وسكانها من القارين وإما من الذين أتوا إليها من أجل الخدمة العسكرية لمدة معينة¹، ومن أبرز هذه الثغور بالإضافة إلى أصيلا وسبتة والعرائش ومليلة² نجد أيضا:

آسفي: مدينة قديمة بناها المغاربة على شاطئ المحيط الأطلسي في طرف إقليم دكالة، وليست محصنة إلا من جهة الشمال تضم 4000 دار، والأراضي المحيطة بها غنية بالقمح والمواشي، احتلها البرتغال سنة 912هـ/1506م واططروا تحت وطأة الحملات السعدية إلى مغادرتها سنة 948هـ/1541م.³

أزمور: مدينة قديمة على شاطئ المحيط الأطلسي عند مصب نهر أم الربيع في سهل رملي يبعد عن مازغان بـ 18 كم، كان يسكنها حوالي 5000 ساكن من ضمنهم الكثير من العائلات اليهودية إستولى عليها البرتغاليون سنة 914هـ/1508م، ووضعوا بها حامية عسكرية للدفاع عن مصالحهم التجارية في المنطقة⁴، وقد تخلوا عنها سنة 947هـ/1541م بعد تعرضهم لمضايقات السعديين الذين كانوا يشنون الغارات العسكرية عليهم وعلى القبائل المتحالفة معهم، زيادة على صعوبة الوصول إلى مينائها الذي كانت حواجزه الرملية تعيق حركة سفنهم.

¹ أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 11

² أنظر تعريفهم في الفصل التمهيدي المبحث الثالث .

³ مارمول، المصدر السابق، ج 2، ص ص 71-75.

⁴ مارمول، المصدر السابق، ج 2، ص 87.

وبعد إنسحابهم من الحصن حوله السعديون إلى منطقة صيد فكان الأوروبيون يترددون إليه للصيد مقابل دفع 8000 مثقال سنويا للسعديين كرسوم صيد¹.

القصر الصغير: أسسها الملك المريني يعقوب المنصور على شاطئ المحيط الأطلسي بين سبتة وطنجة في أذيق مكان بمضيق جبل طارق، ولم تكن تبعد عن إسبانيا إلا بـ 18 كم، بها ميناء جيد لرسو السفن إحتلها البرتغاليون سنة 861هـ/1458م²، وجعلوا منها سوقا رائجة³.

أغادير: يقع الحصن في أقصى المغرب عند طرف جبال الأطلس الزاحفة نحو المحيط الأطلسي بالقرب من مصب نهر السوس⁴، بناه الإسبان سنة 907هـ/1501م وإشتره البرتغاليون بمبلغ 5000 كروزادوا ذهبي سنة 920هـ/1513م بأمر من ملكهم مانويل الأول ليتخذوه مركزا تجاريا ينافس مركز سانتا كروز الإسباني ويكون قاعدة للسفن البرتغالية المتوجهة نحو غينيا والهند⁵.

وقد إسترجع محمد الشيخ السعدي الحصن 947هـ/1541م، وأقام فيه قاعدة تجارية لإقليم السوس على المحيط الأطلسي⁶.

بادس: مدينة تقع على الشاطئ الشمالى للمغرب قبالة مالقة الإسبانية التي تبعد عنها بـ 240 كم تقع بين جبلين شاهقين، ومينائها يتسع لثلاثين مركبا⁷.

¹ مارمول، المرجع السابق، ص 87.

² نفسه، ص 213.

³ جعفر بن أحمد الناصري، المصدر السابق، ص 178.

⁴ الحسن الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 118.

⁵ المهدي بن محمد السعدي، وثائق إسبانية حول تأسيس مدينة أغادير المغربية، في مجلة التاريخ العربي، ع 26، 04/06/2009، ص 1.

⁶ روي كاريطا، صورة الإسلام في البرتغال وجزيرة مديرا، ندوة لجنة التراث، آسفي 7-9 أكتوبر 2004، ص 90.

⁷ الوزان، المصدر السابق، ج 1، ص 237.

تطور الجهاد البحري في العهد السعودي:

إزداد حرص البرتغال وخاصة بعد ظهور السعديين على إبعاد المغاربة عن البحر ، ومنعهم من جميع المواد التي تدخل في صناعة السفن وتقنيات الإبحار ، كما تجاوز البرتغاليون ذلك ليمنعوا أي إتصال أجنبي بالمغاربة عن طريق البحر متذرعين في ذلك بحجة إحتكارهم للسوق المغربية ومحاربة التهريب ، وذهب التشدد البرتغالي في ذلك إلى حد إلقاء القبض على سفير فرنسا إلى المغرب سنة 1533م بتهمة تهريب الأسلحة للمغاربة ¹.

وبعد أن إستعاد المغرب وحدته السياسية سنة 1554م ، وبعد أن تمكن السعديون من تحرير جل الثغور المغربية ، ورغبة منهم في الحفاظ على إستقلال البلاد ورفع الأطماع التركية والإيبيرية عنها ، حاولوا إحداث أسطول حربي ، وللتمكن من ذلك حاولوا الإستفادة من تجارب بعض المدن الساحلية كالعرائش وسلا اللتين سرعان ما أصبحتا أهم قواعد أسطولهم ² ، كما إستفادوا من عدم إحترام البنادقة لقرار منع تصدير الأخشاب إلى العالم الإسلامي ³.

بدأ محمد الشيخ السعدي الإهتمام بإنشاء أسطول حربي فور دخوله إلى فاس 1549م ، وذلك لإقتناعه أن تحرير الثغور يقتضى بالضرورة حصارا برياً وبحرياً لمنع وصول الأقوات والعتاد والرجال إلى الثغر المحاصر ، وكذلك بروز الخطر العثماني كقوة طامعة في غزو المغرب بدعوي مساندة الحليف الوطاسي أولاً ، وجمع كلمة المسلمين للجهاد في ظروف أحسن ثانياً ⁴.

¹ محمد المنهاوي ، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، ج2 ، جامعة الحسن الثاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق ، الدار البيضاء ، ص ص 180-181.

² أحمد بوشارب ، المرجع السابق ، ص 10.

³ موريس لومبار ، الإسلام في مجده الأول ، تر: إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1997 ، ص 260.

⁴ أحمد بوشرب ، المرجع السابق ، ص 97.

وما يؤكد إنشغال محمد الشيخ بموضوع الأسطول فور دخوله فاس محاولته الاستفادة من غابات بادس القريبة .

كما أمر بإحياء أوراش سلا التي خرجت منها ما بين 1549م/1550م أربع مراكب كبرى من نوع الغليوطة ، كما صنع السلطان بيادس أربع غليوطاتوفي العرائش ثمانية من هذا النوع وثلاثة من نوع آخر¹.

كما قام بإختطاط مرسى أكادير بالسوس الأقصى بعد إجلاء النصارى عن المدينة²، كما لجأ محمد الشيخ إلى الإعتماد على التجربة العثمانية في الملاحة بإستقطابه لأعداد مهمة من الرياس الأتراك والعلوج لاسيما وأنه قد نجح في إنتزاع عدة منافذ أطلنتية من يد البرتغال ، الأمر الذي مكنه من التوفر على قواعد متعددة لتجهيز السفن التي بمقدوره ضمان إنشاءها بفاس وإستقدامها إلى المعمورة عبر نهر سبو بالإعتماد على الدعم المنتظر من فرنسا إستغلالا لعلاقة الصداقة والمودة التي تربطه بعاهلها³.

وفي عهد عبد الله الغالب⁴ أصبح الأسطول يتشكل من ثلاثين سفينة وإرتفع منذ سنة 1568م إلى نحو أربعين سفينة⁵.

فإحتكرت الدولة بذلك الأنشطة البحرية وأصبحت الجزر الخالدات أهم منطقة مستهدفة لعمليات مراكبها ، ففي سبتمبر 1569م هاجم العليج كلباظ تلك الجزر على رأس عشر قوادس كانت تحمل

¹ عبد الرحيم شكري ، الصراع بين المغرب وإسبانيا خلال القرنين 16 و17 ممن خلال وثيقة تتعلق بالجهاد البحري والأسرى ثم العلوج ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 64 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1979 ، ص ص 54-55.

² رقية بلقدم ، المرجع السابق ، ص 24.

³ حسن أميلي ، الجهاد البحري عند مصب أبي الرقراق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الحسن الثاني ، الدار البيضاء ، ص 67.

⁴ هو أبو محمد بن عبد الله الشريف الملقب بالغالب ولد سنة 933هـ/1526م عين والي على فاس في عهد والده محمد الشيخ وقد خلف والده في الحكم إلى غاية 981هـ/1537م ، للمزيد أنظر: إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 45.

⁵ عبد الرحيم شكري ، المرجع السابق ، ص 54-55.

600 نفرا غنموا أكثر من 200 أسير، وفي 21 سبتمبر 1571م غادر الدغالي سلا على رأس سبعة قوادم كانت تحمل 400 محارب أسروا 100 شخص¹.

ويبدو أن المجهودات التي بذلها السلاطين السعديون الأوائل آتت أكلها فقد كان الأسطول المغربي في عهد الغالب يتكون من 30 قطعة، وأصبح في عهد أخيه عبد الملك² يشمل 40 قطعة³، حيث أمر هذا الأخير بإنشاء السفن في العرائش وسلا⁴.

أما في عهد المنصور فبعد تثبيت سلطانه داخليا سعى نحو تمكين الدولة من أسطول بحري قوي، وذلك من خلال البحث عن المواد المطلوبة لهذا الغرض، فقد قام بتصدير ملح البارود المحلي ومقايضته بخشب إنشاء السفن.

كما سعى لدى الملكة إيزابيت الأولى سنة 1589م من أجل السماح له بإستيراد المجاديف وإستقطاب النجارين وصناع السفن وكافة المواد الأخرى التي يحتاجها في ذلك من إنجلترا⁵.

إلا أن هذا الأسطول إندثر بعد وفاة المنصور السعدي وما تلا ذلك من فتن وإضطرابات، ولم يعد المغرب إلى الإهتمام الرسمي بالأسطول الحربي إلا على عهد السلطان العلوي محمد بن عبد الله ومن جاء بعده بإستثناء بعض عمليات القرصنة التي ظهرت كنشاط حر لا يخضع لمراقبة الدولة وإشرافها⁶.

ثانيا: عوامل ظهور الجهاد البحري (القرصنة) في المغرب

¹ أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 10.

² هو أبو مروان عبد الملك بن محمد الشيخ الملقب بالمعتصم ويلقب أيضا بالغازي كان لاجئا بالجزائر عاد إلى المغرب بعد وفاة ابن أخيه المتوكل بدعم من العثمانيين بالجزائر حيث تقلد حكمه سنة 983هـ/1575م إلى غاية وفاته سنة 986هـ/1578م، إبراهيم بركات، السياسة والجمع في العصر السعدي، المرجع السابق، ص 68.

³ أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 100.

⁴ مجهول، المصدر السابق، ص 53.

⁵ حسن أميلي، المرجع السابق، ص ص 70-71.

⁶ محمد بوشارب، المرجع السابق، ص 100.

لم تنطلق إستفادة العنصر المغربي من الساحل الأطلسي مبكرا لإعتقاده آنذاك بأنه يشكل نهاية العالم المعمور وذلك إنطلاقا بتسميته لبحر الظلمات ،على عكس الدول الأوروبية التي سعت إلى إستغلاله الأمر الذي مكنها من الإكتشاف التدريجي لمياه المحيط خلف جبل طارق ،إلى حين بداية التغلغل الأوروبي في سواحل إفريقيا خلال القرن 15م كخطوة أولى تلتها خطوات أهم تمثلت بالكشوفات الجغرافية الكبرى التي سيكون لها الأثر الحاسم في التخلي الإضطرابي للمغرب عن موقعه كنهاية غربية جنوبية للعالم المعروف ،ليصير مركزا مشرفا على مجال بحري نابض بحركة المرور الموازية لساحله من وإلى أوروبا ،ويجبر أهاليه إلى الإهتمام بالنشاط البحري وإلى محاولة الإستفادة من الرواج الإقتصادي المتحرك على مرأى أعينهم محزين برغبات دينية ونفسية قوية.

ومن أهم عوامل الجهاد البحري في المغرب نجد مايلي:

. إحتلال عدد من الثغور المغربية بعد سنة 1415م الأمر الذي جعل المغاربة يردون بالمثل ويتبنون الجهاد البحري للإسراع بتحرير تلك الثغور وأضحت بعض السواحل تأوي نشاطا جهاديا منتظما ألحق أضرار بليغة بالسواحل الإيبيرية وبالتجارة المسيحية بالحوض الغربي للأبيض المتوسط .¹

- الغزو البرتغالي الإسباني² لسواحل المغرب وما سببه من أزمات سياسية وإقتصادية وديمغرافية عميقة وبلبة في الأفكار والمعتقدات .³

¹ محمود السيد ،تاريخ دول المغرب العربي ،مؤسسة الشباب الجامعة ،مصر ،2000 ،ص 129.

² مع نهاية القرن 15م كانت البرتغال تحتل في المغرب الأقصى مدن سبتة وطنجة وأصيلا وأزمور والصويرة وأسفي مع كامل مقاطعة دكالة الممتدة من مصب نهر أم الربيع وتنسيقت على المحيط الأطلسي ،أما الإسبان فقد إحتلوا بالبلاد المغربية صخرة بادس ومدينة مليلة.

³ محمد الفاسي ،إحتلال البرتغاليين للثغور المغربية الذي أدى إلى موقعة وادي المخازن ،في مجلة دعوة الحق ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،الرباط ،المغرب ،عدد8 ،1978م ،ص ص 21-22.

- الأزمة الإقتصادية التي عمت البلاد إثر وباء الطاعون الأسود بعد سنة 1348م وتراجع الاستفادة من تجارة القوافل وضعف السلطة المركزية .
- نزوح جاليات أندلسية إلى سواحل المغرب في مرحلة أولى وعلوج جذبتهم الرواتب العليا والإمتيازات المهمة التي كانوا يستفيدون منها كمرحلة ثانية.¹
- عملت مختلف السلطات المتعاقبة على المغرب على إستغلال هذا المجال لترسيخ نفوذها أو لتحقيق قوة بحرية سلطانية تفي بالغرض العسكري أو التجاري تجاه القارة الأوروبية.
- إستقرار جالية مورسكية مهمة بالرباط وسلا بعد طردها من إسبانيا فيما بين 1609م/1610م ورغبتهم في الإنتقام، وكذا إتخاذ القرصنة حرفة للربح وجمع الأموال والمتاع والأسرى الذين لا يتم فدائهم إلا بالأموال الطائلة من الجانبين.²
- موقع المدينتين سلا والرباط الجغرافي وسلامة مرساهما من الإحتلال الإسباني البرتغالي في ذلك العهد مما جعل منه نقطة إنطلاق لعملية الجهاد البحري .
- بعدما كان الأسطول المغربي حربيا قائما على حراسة الشواطئ المغربية والدفاع عنها عند الحاجة والتنقل بين المراسي والمراكز الحربية ، تعين عليه أن يصبح قرصانيا ليدافع عن حريته وحركته في بلاده.³
- ظهور القرصنة بالجزائر على يد خير الدين باشا ، وإشتداد أعمال القرصنة بالبحر المتوسط منذ النصف الأول للقرن 16م.⁴

¹ أحمد بوشرب ، المرجع السابق ، ص ص 70-71.

² كانت الملاحة الدولية بين الهند والشرق والغرب مضطرة إلى المرور من رأس الرجاء الصالح ولا يمكنها ذلك إلا بواسطة بوغاز جبل طارق ولا يخفى ماكانت تحمله هاته السفن من السلع المختلفة المواد والأنواع والعدد ، للمزيد أنظر الناصري ، المصدر السابق ، ص 09.

³ أحمد بن جعفر الناصري ، المصدر السابق ، ج 05 ، ص ص 9-11.

⁴ أندري جوليان ، المصدر السابق ، ص 334.

المبحث الثاني: أهم القواعد البحرية للجهاد البحري في المغرب الأقصى

إذا كان المغرب قد عاش خلال الثلثين الأولين من القرن 17م أزمة داخلية عصفت بتماسكه السياسي ومقومات بنيانه الإقتصادية والإجتماعية، فإنه بالمقابل عرف بروزا متميزا لحركة شعبية مهمة، أخذت من المجال البحري مسرحا لنشاطها، ومن الجهاد المقدس أسلوبا لإشعاعها حملة لواء المساهمة المغربية في السياسة الدولية، محافظة على مكانة المغرب البارزة فأكسبته تألقا وشهرة دام بريقهما طوال هذه الفترة وإمتد ذلك حتى بعد عودة الوحدة السياسية على عهد العلويين .

وقد كانت منطقة مصب أبي رقراق ومرسى سلا مركز هذه الحركة الذي عاد عليها بالحظوة والإهتمام الواضحين على الصعيد المحلي كما على الصعيد العالمي، وذلك نتاج تبوئها مرتبة رئيسية على مستوى النشاط الملاحي الإسلامي كأقصى مركز غربي وكأهم قاعدة جهاد بحري بعد مدينة الجزائر .

أولا: لمحة عامة عن مصب أبي رقراق:

1- الموقع الجغرافي:

يقع مصب أبي رقراق في وضعية جغرافية وإستراتيجية هامة بإعتباره ظلّ منطقة مستقلة لم تتعرض لا لغزو إيبيري ولا لنشاط قرصني ملموس خلال القرن 16م، فصار بذلك القاعدة الإسلامية الأقرب إلى المضيق من جهة المحيط .

كما كانت له مكانة بارزة بفضل مركزه خاصة سلا ذلك أن وجوده في نهاية منطقة الغرب وعلى مشارف إقليم تامسنا متمركزا بذلك في نهايتي الإمتداد الإداري لمركزي فاس ومراكش، وبالتالي يعتبر منطقة إنطلاق بين الشمال والجنوب¹.

¹ حسن أميلي، المرجع السابق، ص 16.

كما لا يخفي أن العمران الثلاثي المتكون على مصب أبي رقرق من القصبة ورباط الفتح وسلا يعد مركزا إستراتيجيا ذو أهمية عضى لأنه مفتاح المملكة المغربية والحاكم على المحيط الأطلنطي سواء من الناحية السياسية أو الإقتصادية أو الحرية¹.

2- مميزات المصب الطبيعية:

يتميز المصب بضآلة صلاحيته كمرقى نظرا للعوائق الطبيعية التي تعترض النشاط الملاحي به ، كما يتميز بدفاع طبيعي يوفر له مناعة وقائية أمام الهجمات الرامية إلى تخريبه أو إلى السيطرة عليه ، إذ على بعد فرسخ من الشاطئ تنتصب أقاصير رملية تحت سطح الماء خالقة بذلك حاجزا ملاحيا صعب الإختراق نتيجة الإرتداد العنيف للأمواج من جراء إصدامها به كأحد الأسباب الرئيسية لضعف إستغلال المرسى منذ وقت باكر والناجمة عن صعوبة ولوج المصب الذي بالرغم من تجارب الرياس كثيرا ما تجنح السفن بسببه².

كما تزداد صعوبة المدخل كلما ساءت أحوال الطقس إذ يتعاضم التأثير السلبي للأقاصير مع شدة عنف الموج دافعا إلى توقف الإبحار فيه خلال فصلي الخريف والشتاء ، وحتى إذا ما تم تجاوز الأقاصير المذكورة تؤثر فاعليته سلبا على المساحة الممتدة بينه وبين الميناء ، فلا يترك للملاحة داخله سوى قناة ضيقة منعرجة مما يزيد في مخاطر الملاحة ، ويساهم في إلحاق الضرر بالسفن الناجية من مخاطر الأقاصير³.

أما بالنسبة للجزء المتقدم من نهر أبي رقرق فيعرف بدوره سليات طبيعية تتمثل في عدم تعمق مجراه بحيث لا يتعدى عمقه ثمانية عشر قدما عند المد نتيجة إتساع مجرى النهر المترتب عن تراكم الإرسالات النهرية والبحرية .

¹ أحمد بن جعفر الناصري ، المصدر السابق ، ج 05 ، ص 20.

² حسن أميلي ، المرجع السابق ، ص 17.

³ حسن أميلي ، المرجع السابق ، ص ص 17-19.

على العموم يبدو مصب أبي رقرق بمميزاته الطبيعية الصعبة في وضعية سلبية من جهة، وكمرفئ متوفر على خصوصيات أمنية إيجابية من جهة أخرى، وقد مكن شقه الإيجابي من البروز أكثر من جانبه السلبي ليتم إستغلاله بقوة من طرف رياس الرباط وسلا طوال القرن 17م، وذلك بإتخاذهم الإحتياطات اللازمة بأن تكون السفن متوسطة في العمق والطول والحمل لتتمكّن من تجاوز المصب في كل وقت وحين¹.

3- الأهمية الاقتصادية للمصب:

تكمن الأهمية الاقتصادية لمنطقة المصب في إعتبارها سوقا مركزيا على المستوى الجهوي، فقد حظيت بسمعة عالمية جعلت تجار أوروبا يتسابقون عليها منذ القرن 12م، وزاد حجم معاملاتها بعد إحتلال سبتة 1415م، وحتى في الوقت الذي آلت فيه الوضعية الاقتصادية إلى فوضى عارمة مع ما واكبها من إمتلاك لإيبرين لأغلب ثغور البلاد حافظ مصب أبي رقرق على دوره المتميز ببقاءه خارج دائرة الإحتلال إبان إزدهار الحركة التجارية الأطلنتية، لتزداد أهميته كمرفئ محلي يحول دون الإستنزاف المغربي الذي كان يمارسه البرتغاليون إنطلاقا من قواعد الإحتلال إلى درجة أدرك معها هؤلاء بأن إمكانية القضاء النهائي على المغرب لا يتم إلا بالسيطرة على مصب أبي رقرق².

كما حظي الميدان الفلاحي بالإهتمام الأساسي للسكان من حيث توفر المنطقة على بنية ملائمة للنشاط الزراعي، ومناخ جيد طوال السنة أدى إلى توفر منتج للتغذية المحلية، وكذا تربية المواشي والدواجن وزراعة المواد الأولية للنسيج خاصة القطن والكتان

كما يوفر النهر ثروات سمكية غير أن أهم مورد طبيعي كانت منطقة المصب تستفيد منه وبصفة خاصة في نشاطها الملاحي، كان إشتغال ضواحيها على موارد خشبية هامة جدا تقدر بأكثر من 300

¹ أحمد بن جعفر الناصري، المصدر السابق، ج 05، ص 10.

² حسن أميلي، المرجع السابق، ص ص 19-20.

ألف هكتار من الغابة شمالا وشرقا، مع مايمثله ذلك من نشاط صناعي متخصص في أوراش بناء القوارب والمراكب والصناعات التعدينية الخفيفة المرتبطة بها¹.

4- التركيبة البشرية للمنطقة والإستقرار الأندلسي بها:

تميزت المنطقة بإنعدام توازنها السكاني وتنوع التشكيلة البشرية بها، حيث جمعت بين العناصر قديمة الإستقرار منذ تأسيس المدينة، وأخرى حديثة العهد بها وكذا عناصر عربية وأخرى بربرية، وهجرات من داخل المغرب إلى جانب أخرى من تونس والأندلس²، مما يؤكد غياب أي تماسك دموي قوي من شأنه أن يجعل إحدى الفئات تتحكم في توجيه المنطقة.

لكن بداية وفود الأندلسيين إنطلاقا من سنة 1608م قد خلخل التركيبة البشرية لمنطقة المصب من حيث إستقبالها لعدد مهم بشكل فجائي وسريع، جعل العنصر الجديد يصبح أكثر فئة سكانية (حالي 80% من المجموع العام)، غير أن هذا الاختلاف سيجعل من مصب أبي رقراق إحدى القواعد الأساسية الموجهة ضد المصالح المسيحية والإسبانية على وجه الخصوص، وذلك عن طريق توجيه الأندلسيين خططهم ضد الملاحة التجارية الإسبانية المتحركة على مرأى أبصارهم، ليكون بذلك إيذانا بإنطلاق المواسم الجهادية وبداية تطور النشاط البحري بالمصب³.

5- جمهوريات مصب أبي رقراق:

أولا: مدينة سلا

تأسست مدينة سلا سنة 1006م على الضفة اليمنى لوادي الرقراق من طرف عشار قائد بني أمية، وبعد ذلك بقرن ونصف أسس السلطان الموحيدي عبد المؤمن على صخرة بالضفة اليسرى مشرفة على

¹ حسن أميلي، ص ص 20-21.

² أحمد بن جعفر الناصري، المصدر السابق، ج 05، ص 08.

³ حسن أميلي، المرجع السابق، ص ص 29-30.

المصب حصنا سماه رباط سلا ،الذي صار فيما بعد رباط الفتح والذي هو اليوم قصبة الوادي ¹،وعند المصب يوجد ميناء المدينة الذي ترسو فيه السفن ،وقد أقبل المرينيون على توسيع المدينة وتحميلها حتى صارت شيئا فشيئا مركزا نشاطيا للتجارة والأعمال ².

كما كانت المدينة قبلة للمعارف الدينية وموطنا للفقهاء وإحتضان رجال التقوى ،ومزارا محترماً لكونها روضة كثير من الشهداء والمجاهدين ،ولكثرة من أقبر فيها من الزهاد والعلماء وملوك المسلمين ،فقد شكلت صحبة فاس وتطوان وأيضا الرباط فيما بعد واحدة من الحواضر الأربعة للمغرب ³.

كما إشتهرت أيضا بالملاحة البحرية حيث ظلّ مرسى سلا من أواسط القرن 14م إلى أواسط القرن 16م أهم مركز تجاري ساحلي في المغرب بالنسبة لتجار بلدان البحر الأبيض المتوسط، كما كان لها منذ القدم شهرة في صناعة المراكب حيث وجدت بها دار لصناعة الأساطيل ⁴.

أما في السنين الأولى من القرن 17م أصبحت سلا مركزا من مراكز القرصنة التي بثت الرعب في الخارج مايزيد عن قرنين من الزمن ⁵.

ثانيا :رباط الفتح أو سلا الجديدة

¹روجي كواندروا ،قراصنة سلا ،تر:محمد حمود ،المعهد الجامعي للبحث العلمي ،جامعة محمد الخامس ،دط ،الرباط ،1991م ،ص 28.

²وقد إكتسبت أهميتها التجارية من عائداتها من الجمرک التي كانت تفرضها على الواردات والصادرات حيث كان ميناءها مقصدا للتجار الجنوبيز والبنادقة والفلانمديين لأنه كان يستعمل كميناء لفاس والمناطق المجاورة لها ،أنظر الوزان ،المصدر السابق ،ج 1 ،ص 208.

³كينيث براون ،موجز تاريخ سلا ،تر: محمد جيدة وأناس لعلو ،منشورات الأمل ،ط01 ،الدار البيضاء ،2001 ،ص 26.

⁴ وجدت بسلا وتسمى دار الإنشاء وهي دار لبناء السفن وصناعة الأساطيل ،تكونت في عهد الموحدين وعظم شأنها في عهد بني مرين منها كانت تجهز السفن للغزو والحروب الجهادية بالأندلس وجزر البحر الأبيض المتوسط .

⁵ عبد الهادي التازي ،التاريخ الدبلوماسي للمغرب ،10 ج ،وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،الرباط ،2009 ،ج 1،ص 209.

تقع رباط الفتح على شاطئ المحيط الأطلسي وعلى الضفة الجنوبية لنهر أبي رقرق عند المصب، ويتفق المؤرخون على أن إبتداء تأسيس المدينة كان في عهد الخليفة يوسف بن عبد المؤمن الموحي، وقد إكتمل تخطيطها في عهد ولده الخليفة يعقوب المنصور¹ عام 593هـ/1197م ويقال أنه إستوحى تصميمها من مدينة الإسكندرية، وإختار أن تمتد رقعة المدينة نحو الجنوب الشرقي، ونظرا لأهمية موقعها ربط بينها وبين سلا بقنطرة معلقة كان أسسها أبوه من قبل، كما قام المرينيون وبعدهم السعديون بتوسيعها وبناء المساجد والحمامات فيها².

ولما وصل الأندلسيون إليها عرفت المدينة حركة جديدة حيث تحولت إلى ميناء تدخله السفن ذات الحمولة الخفيفة، كما كانت السفن البعيدة ترسو بعيدا وتفرغ حمولتها بواسطة القوارب وذلك نظرا لصعوبة مداخل المصب وتياراته، وقد إتفق أغلب المؤرخين على أن الأندلسيين حولوا جذريا حالة مدينة الرباط علميا وحضاريا وكذا أنشأوا الأساطيل وشاركوا في الجندية، وشيدوا الأبراج والأسوار وأقاموا العلاقات السياسية والتجارية مع الخارج³.

ثالثا: القصة:

كانت في عهدها الأول عبارة عن حصن بناه الرومان لحماية مراكبهم التي كانت تمر بوادي أبي رقرق، ثم أصبحت رباط يربط فيه المسلمون بقصد الجهاد، أما في عهد المرابطين فكانت عبارة عن قصبة صغيرة بناها تاشفين بن علي آخر ملوك المرابطين، أما في العهد الموحي فقد إتخذت شكلها

¹ أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق المريني الملقب بالمنصور، رابع الأخوة الذين ولوا حكم المغرب من بني عبد الحق، تولى الحكم سنة 656هـ/1258م وبقي فيه إلى غاية وفاته سنة 685هـ/1286م ومن أشهر إنجازاته إنشاء الأسطول وبناء مدينة فاس الجديدة، للمزيد أنظر أحمد الناصري، المصدر السابق، ج2، ص ص 375-410.

² عبد الله السويسي، تاريخ رباط الفتح، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، دط، الرباط، 1979/1399، ص 57.

³ نفسه، ص 97 و أحمد بن جعفر الناصري، المصدر السابق، ج 05، ص ص 214-215.

الحاضر فاتخذها عبد المؤمن دارا ومعسكرا وأذن للناس في عمارتها وبنى مسجدها الجامع وأجرى إليها الماء¹.

وسميت أيضا بالمهدية²، وقد فقدت القصة أهميتها التي كانت عليها أيام المرينين والموحدين ولكنها ما لبثت أن إسترجعت أهميتها بفضل موقعها لما قدمت جاليات الأندلس إلى السلطان زيدان بن المنصور الذي إتخذ منهم جيشا لتحصين القصة والرباط

وبعد تلاشي دولة السلطان زيدان بقيت تحت حكم الأندلسين، وممجيء الدلائيين كان عبد الله الدلائي خليفتهم بالقصة إلى أن جاء السلطان مولاي الرشيد العلوي فشمّل القصة وطاعت له سنة 1679م، بعدما وحد كلمتها مع الرباط وسلا تحت ظل رايته³.

تكون الجمهوريات الثلاث:

توافد منذ سنة 1492م على مدينة سلا جماعات منعزلة من المسلمين واليهود من إسبانيا، وفي سنة 1610م أقام الهورناتشيون⁴ في الضفة الجنوبية للنهر وشيدوا قصبة تدعى قصبة سلا، وما إن

¹ لم يكن لبنائها شكل مستقيم فهي ليست مثلثة ولا مربعة وإنما بنيت على الصخور بحسب هندستها الطبيعية، عبد الله السويسي، المرجع السابق، ص 66.

² "وفي غرب النهر المذكور إختط عبد المؤمن قصبة وسماها المهدية ينزلها إذا أراد أمرا أو تجهز جيشا" أنظر ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صدر، لبنان دط، دت، ص 216.

³ أحمد بن جعفر الناصري، المصدر السابق، ج 05، ص 205.

⁴ نسبة إلى مدينة هورناتشوا الإسبانية تقع بإقليم بظلموس في جنوب غربي إسبادة بعيدة عن الأولى بنحو 170 كلم شمالا وعن الثانية بنحو 50 كلم جنوبا، أنظر هامش: محمد حجي، الزاوية الدلائية، المصدر السابق، ص 185.

إستوطنوا هذا المكان حتي شجعوا مهاجرين آخرين للدخول إلى المغرب ،والإستقرار بجانبهم في المجال المعروف بمدينة الرباط¹.

هكذا تشكلت ثلاث تجمعات سكانية متباينة: سلا والقصبة والرباط².

وقد دخلت كل منهم تحت طاعة زيدان بن المنصور ملك مراكش فأمر عليهم القائد فاضل الزعروري الأنصاري.

وحدث بعد بضع سنوات من تولية هذا القائد أن رجع المجاهد العياشي إلى سلا ناجيا بنفسه من المؤامرة التي دبرها السعديون ضده في أزموور فبعث زيدان إلى قائده الزعروري أن يقبض على العياشي أو يغتاله ،لكن شيوخ الأندلسيين وأعيانهم عارضوا في تنفيذ هذا الأمر وبدأوا بالتمرد على الزعروري ،وكذا قاموا بقتل المملوك الذي بعثه زيدان بعد الزعروري³، قاطعين بذلك صلتهم ببلاط مراكش وأقاموا عنهم عاملا جعلوه مسؤولا أمام مجلس مختار لمدة محدودة يقع تجديده بطريقة الانتخاب⁴.

هكذا نشأت أول جمهورية مورسكية بالرباط على ضفتي أبي رقراقوسار سكان القصبة على نفس النهج وكونوا جمهورية أخرى حوالي عام 1440/1630م ،ولقد حافظت هاتان الجمهوريتان على

¹ محمد داود ،المرجع السابق ، ص 87.

² كانت الرباط والقصبة قبل مجيء الأندلسيين إليهما تنتسبان معا إلى سلا ،فيقال رباط سلا وقصبة سلا ،ثم صارت المدن الثلاثة تدعى إجمالا مدن سلا ،وعند التفصيل يعبر عن سلا الحالية بسلا القديمة ،وعن الرباط بسلا الجديدة ،وبقيت القصبة منسوبة إلى سلا إلى أن سكنها جيش الودايا أيام السلطان عبد الرحمن بن هشام العلوي فسميت قصبة الودايا ،كما إسترجعت الرباط الإسم الذي أطلقه عليها مؤسسوها الموحدون وهو رباط الفتح .أنظر هامش محمد حجي ،الزاوية الدلائية ، ص 185.

³ إمتنع الأندلسيون بعد ذلك من الإستجابة للقائد الزعروري الذي كان يبلغهم أوامر ملك مراكش بالتجنيد والمساهمة في العمليات العسكرية ،ورأوا أن يتخلصوا منه فوشوا به إلى السلطان زيدان ولفقوا ضده إتهامات مثيرة فبعث من يقبض عليه وولى عليهم مملوكا يسمى عجيبا لكنهم لم يلبثوا أن ثاروا عليه وقتلوه .

⁴ محمد حجي ،المرجع السابق ،ص 187.

علاقات طيبة مع العياشي المتحكم في المنطقة الممتدة من سلا إلى تطوان وإعترفتا بسلطته، وساهمتا من الناحية العسكرية في جهاده ضد الغزاة النصارى بالسواحل¹.

ومن هنا يظهر جليا أن سلا لم تعد تعترف بسلطة السلطان مولاي زيدان فقد قطع السلاويون اسم السلطان من خطبة الجمعة².

لكن سرعان ما فسد الجو بين العياشي وبين المورسكيين حيث إمتنعوا عليه فيما كان يريد من توحيد وإدماج، ولجأوا إلى الملك السعدي لكنه عجز أن ينجدهم، فمدوا أيديهم إلى الإسبان، ووطدوا الصلاة مع حامية المعمورة التي كان العياشي يضيق الخناق عليها، إلى أن تدخل الدلائيون لصالح مهاجري الأندلس فكان في ذلك نهاية العياشي³.

وبذلك تكونت في سلا جمهورية ثالثة على غرار الجمهوريتان القائمتان في الرباط والقصبة، وقد أقر الدلائيون هذا الوضع في الجمهوريات الثلاث وأسندوا أمر النيابة عنهم فيها جميعا إلى قائد سلا سعيد الجنوي⁴، وبذلك أصبح له الإشراف على قائد الرباط أبي الطيب بن عبد الرحمن عبدون، وقائد القصبة الحاج يونس السنسيان ثم ترك سعيد الجنوي أمر قيادة سلا إلى عامر بن محمد⁵.

بداية الجهاد البحري عند جمهوريات أبي رقراق:

¹ " واجتمعوا على الولي الصالح العلامة المجاهد محمد العياشي السلاوي للجهاد في سبيل الله " أنظر الناصري، الإستصقاء، المصدر السابق، ج3، ص 129.

² كينيث براون، المرجع السابق، ص ص 61-62.

³ محمد حجي، من أخبار القرصنة والجهاد البحري، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ع4، مارس 1969، ص 103.

⁴ الأمين سعي الجنوي قائد سلا وحاكم العدوتين من طرف الدلائيين صار خليفة للأمير عبد الله الدلائي عام 1061هـ/1651م ظل أمين سره إلى أن توفي بسلا في أوائل ذي الحجة عام 1065هـ/1655م.

⁵ محمد حجي، المرجع السابق، ص ص 187-188.

لم يحضى الجهاد البحري بمصب أبي رقرق بإهتمام من السلطات المركزية، وإنما كان نتيجة مبادرات شعبية جعلت أسطوله يتقوى على أسطول الملك الموحيدي عبد المؤمن صاحب الأسطول الحربي الجبار، وجعلت عملياته ونجاحاته المحققة تستمد قوتها من ضعف تأثير السلطات على مساره¹.

كما يتفق أغلب المؤرخين على أن الإستقرار الأندلسي بالمصب كان أساس الإنطلاقة الفعلية للجهاد البحري وذلك بسبب رغبتهم في الإنتقام مستفيدين من تركزهم على بعد فراسخ قليلة من الأندلس، مشكلين بذلك درعا بحريا واقيا ضد الضغوط الأروبية المباشرة على السواحل المغربية².

كما أن الأندلسيين قد جلبوا معهم ثروات مهمة تتطلب منافذ استثمارها الأمر الذي سيدفع بهم إلى خلق نشاط جديد تمثل في الإتجاه نحو القرصنة، مستغلين السفن التي استحوذوا عليها بالإضافة إلى تجهيزهم لبعض المراكب.

وكذلك جمعهم بقايا الأسطول السعدي وهو وحدات معدودة تحتاج إلى إصلاح وتجهيز، على أن نطاق العمليات في البداية لم يكن يبتعد عن النواحي البحرية القريبة من مصب أبي رقرق مع مغامرة البعض منهم في تنفيذ هجمات فجائية داخل المحيط³.

كما تبين لهم أن الأساطيل في عهد الدول السابقة منذ عهد الموحيدين وبني مرين كانت تصنع وتجهز بدار الصناعة بسلا، ولكنها أهملت في العهد الأخير وإحتاجت إلى إصلاح فاستعملوها أولا حسب ما أمكنهم إستعمالها ثم أحدثوا معملا جديدا لصنع السفن على الضفة اليسرى للنهر، فصنعوا به سفنا كثيرة كما كانوا يحولون بعض السفن التجارية أو الحربية التي يغنموها من بعض الدول الأجنبية

¹ حسن أميلي، المرجع السابق، ص 50.

² محمد حجي، المورسكيون في الأندلس، سلسلة ندوات شفشاون، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، دط، 2000، ص ص 66-67.

³ حسن أميلي، المرجع السابق، ص ص 66-67.

إلى سفن قرصانية، بعد تغيير في هيئتها كما استوردوا سفنا أخرى من بعض الدول التي كانت تحاييهم كهلندا¹.

وبذلك كون الأندلسيون بالرباط والقصبة أسطولا حربيا قويا أخذوا يغيرون به على مراكب الأعداء في عرض البحر ويهجمون على السواحل الإسبانية فعرفوا عندهم بقرصنة سلا أو لصوص البحر، وكانوا يؤدون للملك زيدان عشر مواردهم، حيث غنموا في ظرف عامين فقط أربعين سفينة، ووقع في قبضتهم بين 1618م و1626م حوالي 6000 أسير، كانت مواردهم من الفداء أزيد من 15 مليون جنية².

وتطورت هذه القوة البحرية في العهد العياشي والدلائي، وظلت تثير الرعب في نفوس البحارة المسيحيين طيلة القرن 17م، حيث كان خطر القرصنة السلاوية أعظم من خطر الأسطول التركي لأن ميدان نشاط الأتراك ظل محصورا في نطاق المتوسط الذي نزل إلى المرتبة الثانية في طرق المواصلات الدولية، وقد إتسع ميدان قرصنة سلا فاجتازوا السواحل الإنجليزية الإيرلندية شمالا ووصلوا إلى الشواطئ الأمريكية غربا وهاجمو كل السفن المسيحية عدا سفن المعاهدين³.

سرعان ما توسع مجال قرصنة سلا تبعا لتراكم التجارب لديهم فقد كانوا لا يتوقفون عن إكتشاف مناطق جديدة يعينهم في ذلك علوج ينحدرون من تلك المناطق، حيث وفي سنة 1627م وصل السلاوين إلى إسلاندا، أقصى نقطة وصلتها المراكب القرصنية المغاربية.

وسرعان ما أصبحت مراكب الصيد بمنطقة terre neuve بكندا مستهدفة وأضحت تستقطب حوالي سنة 1637م نصف الأسطول السلاوي، وإبتداءا من سنة 1624م غامر السلاويون

¹ أحمد بن جعفر الناصري، المصدر السابق، ج 05، ص 13.

² إبراهيم حركات السياسة والمجتمع في العصر السعدي، المرجع السابق، ص 120.

³ محمد حجي، من أخبار القرصنة والجهاد البحري، المرجع السابق، ص 116.

في إتجاه منطقة nouvelle ecosse الأمر الذي أدهش ملاحى ذلك الزمان¹، وحمل الدول الأوروبية أن تكسب وُدّ المغرب، وتؤدي له الجزية لسلامة سفنها التجارية التي تمر عبر الأطلنتي².

وبالمقابل عقد رؤساء المورسكيون اتصالات مع زملائهم في مختلف مراكز المغرب الإسلامي بقصد القيام بغارات مشتركة³.

ومن سنة 1036هـ/1644م عاشت حركة الجهاد البحري العصر الذهبي بما شهدته من تطور وزيادة في عدد السفن وعدد الغنائم واستمر الوضع بين تصاعد وتراجع إلى غاية قيام الدولة العلوية وإشرافها على المصعب⁴.

المبحث الثالث: طرق ووسائل الجهاد البحري

أولاً: الإمكانيات البشرية

دور المورسكيين في تنمية الجهاد البحري:

- تعريفهم: يرى بعض المؤرخين أن أصل الكلمة لاتيني إغريقي مشتق من كلمة موري mouri، وتطلق على مجموعة ذات بشرة سوداء مشتقة من كلمة amourus ومنها أشتقت كلمة مور، ويقصد به شديد السمرة وآخرون يرجعون أصل الكلمة إلى العهد الروماني مشتقة من ماوري وتعني الداخلين تحت سلطان مسيحي ومنها جاءت موريطانيا، وأصبحت تعني عربي أو مسلم ومعناها العرب التابعون، أما من حيث المعنى فنجد المورسكيين هم بقايا

¹ أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص ص 27-28.

² محمد حجي، الزاوية الدلائية، المرجع السابق، ص 198.

³ صالح خليل، سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط، رسالة ماجستير، جامعة العقيد الحاج لخضر، باتنة، 2006/2007، ص ص 83-84.

⁴ إبراهيم حركات، مساهمة المغرب في الجهاد البحري بعد طرد المورسكيين من الأندلس، في مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع7 و6، الرباط، 1979، ص 84.

شتات لثمانية قرون من الاندماج الكلي فهم حصيلة عصور طويلة أوجدتهم هناك فأصبح شعورهم إتجاه الأرض أكثر من شعورهم بأي إنتماء آخر ومحاولة إبعادهم ببساطة هي محاولة إجتثاث جذورهم من تربة واقع أوجدتهم¹.

ويقال أنهم المسلمون الذين أظهروا النصرانية وأبطنوا الإسلام، وقد كون المورسكيون مجتمعا متماسكا متضامنا قويا بنشاطه وأدبه وذكائه، فبلغ عددهم في أواخر القرن السادس عشر وفقا لتقدير سفير البندقية زهاء ستمائة ألف نفس وقدر البعض الآخر عددهم بأربعمائة ألف نفس².

والمورسكي عموما هو المسلم الذي بقي في إسبانيا بعد سقوط غرناطة وحافظ على إسلامه سرا³.

- أسباب طرد المورسكيين ومجيئهم إلى المغرب:

توالى الهجرات الأندلسية إلى المغرب خلال فترات متعددة يمكن أن نقسمها إلى ثلاث :

● فترة العهد الوطاسي: حيث كان المغرب يعيش ظروفًا قلقًا سياسيًا وإقتصاديًا وإجتماعيًا مما كان له تأثير على إستقرار أفراد هذه الجالية الأندلسية به .

● فترة العهد السعدي الأول: وهي فترة كان المغرب يعيش فيها عيشة إستقرار في مختلف الميادين السياسية والإقتصادية والإجتماعية فوجد الأندلسيون مجالات العمل مفتوحة أمامهم .

¹ عبد الله حمادي، المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492م/1616م)، ط 1، دار الأملية للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص 23 .

² عبد الرحمان علي الحجي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (711هـ / 1492م)، ط 2، دار القلم، دمشق، 1981، ص 569 .

³ جمال يحيوي، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1492م/1610م)، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر، 2004، ص 42 .

● فترة العهد السعودي الثاني: تميزت باستقرار المهاجرين الأندلسيين في مصب أبي الرقاق وتطوان ومحاولتهم خلق كيان خاص بهم نتيجة الإضطرابات التي عرفها المغرب آنذاك ،وما يهمننا هنا التواجد الأندلسي في العهد السعودي الثاني ¹.

- إستقرت خلال القرن 17 م جالية أندلسية مهمة بسلا ودخلوا في طاعة مولاي زيدان الذي كان يقدر إمكانياتها المادية والحربية سواءا الجهاد أو لمحاربة منافسيه داخليا وجعلها تتمتع بنفس إمتيازات أعيان المنطقة ².

- وقد إستقرت بعد ذلك في القصبة فأصلح الهورناتشيون الأسوار وأعادوا بناء المنازل المهدامة... ولم يكن العياشي بعيد عن هذه الأحداث فقد كتب إليه الملك شارل الأول الإنجليزي رسالة في 12 أكتوبر (1627 م) يهنئه فيها على المساعدة التي قدمه للأندلسيين .

وقد ذكر الأب دان أن زيدان حاول إرغام الأندلسيين على الدخول في طاعته ،فأرسل إليهم محلة قوية محاصرة المدينة لكن بدون جدوى ،وإنتهى هذا الحصار بعقد إتفاق بين الطرفين ليصبح بمقتضاها الأندلسيون هم سادة المدينة والقصبة ،ويلتزمون بالمقابل بتقديم عدد من الأسرى في كل سنة إلى السلطان ،كما قبلوا وجود موظفين مكلفين بالفصل في النزاعات .

وهكذا كونت ثلاث جمهوريات ،الهورناتشيون بالقصبة وهي مقر الحكم ،والأندلسيون بالرباط وجمهورية ثالثة بسلا .

وعلى العموم فإن تاريخ الأندلسيون السياسي بالمنطقة ظل متقلبا وغامضا إلى مجيء العلويين سنة (1666 م) وهو يبرز في ثلاث مظاهر :الصراعات الداخلية و الجهاد البحري والعلاقات مع أوروبا ¹.

¹ محمد رزوق ،المرجع السابق ،ص 190 .

² نفسه ،191 .

الأندلسيون ودورهم في الجهاد البحري .

. ففي الوقت الذي حول فيه العياشي مدينة سلا إلى ثغر للجهاد نزح آخر المسلمين المهجرين من إسبانيا كما سبق وذكرنا إلى الضفة الأخرى من نهر أبي الرقراق ،بالقصة والرباط والواقع أنه منذ (1492م) توافدت على سلا جماعات منعزلة من المسلمين واليهود من إسبانيا لكن لما طرد أهل الأندلس بكثافة بموجب سلسلة من المراسيم الصادرة عن فيليب الثالث من (1609 إلى 1614م) أقام الهورناتشيون القادمون من مدينة هورناتشوس الإسبانية في الضفة الجنوبية للنهر وشيدوا قصبة تدعى قصبة سلا ،لقد ظلت هذه الجماعة متجانسة بتمسكها بالإسلام كما إشتهرت بالصوصية ².

- وأثناء مهاجمة العياشي للمعمورة تأكد له أن المورسكيين لم يكونوا متحمسين لمحاربة النصارى ،وأنهم على العكس كانوا يبطلون خططه ويقدمون إليهم المؤن حتى إستصدر فتوى بجواز مقاتلتهم بعد خيانتهم ،وكان ممن أفتى بذلك الشيخ العربي الفاسي والشيخ عبد الواحد بن عاشر وهكذا اضطر إلى أن يعلن عليهم الحرب خصوصا بعد ان رفضوا أن يمدوه ببعض المدافع لمهاجمة المعمورة ،وحيث إن إقتحم سلا القديمة سنة (1040هـ/1631م) بينما إستقر ولده بشالة ،ولكن حصار العياشي للمورسكيين لم يزددهم إلا عنادا وقد أمدتهم الإسبان بالمؤن ،أما العياشي أخذ يخفف من الضغط عليهم أملا في إسترجاع ثغور أخرى ³ وفي سنة (1636م) حدث نزاع بين الحرناشيين والأندلسيين الذين طردوا هؤلاء من القصبة فالتجأوا إلى العياشي ولكنه كان مشغولا في جهات أخرى ،مما جعل حاكم سلا الجديدة عبد الله بن علي القصري ينتهز الفرصة للإستلاء على سلا القديمة وأثناء ذلك قدمت بواخر إنجليزية

¹ محمد رزوق ،المرجع السابق ص ، 194 .

² كينيث براون ،المرجع السابق ،ص 61 .

³ إبراهيم حركات ،المرجع السابق ،ص 289 .

لحصار المورسكيين بعث بها ملك إنجلترا شارل الأول لفك عدد من أسرى بلاده ،أما العياشي فقد إكتفى بتخريب نواحيها وفي سنة (1637م) .

إنقسم قراصنة أبي الرقراق إلى ثلاث فرق إحداها مستقلة بزعامة القصري والثانية تناصر السلطان والثالثة العياشي وأخيرا إعترف القراصنة بسيادة السلطان الذي عفا عن القصري وردّه إلى قيادته¹ .

أما العياشي فقد إشتبك في حرب مع نصارى الجديدة وقتل حاكمهم (1640م)،ثم عاد إلى محاربة المورسكيين الذين إلتجأوا إلى الإستنجادبالدلائين وبعد محاولات سلمية قام بها الدلائيون لإقناع العياشي بالعدول عن قتالهم إشتبكوا معه في حروب متواصلة إلى أن هزموه بأزغار، فإلتجأ الخلط الذين إغتالوه سنة (1051هـ.1641م)²

وأصبحت سلا والرباط تحت سلطة الدلائين إلى أن خضعت للدولة العلوية ومع ذلك فقد إستمرالمورسكيون يباشرون حركة الجهاد البحري .

وقد حاول ولده أبو محمد عبد الله الأخذ بثأره من الدلائين في وقعة وادي الطين فلم ينجح في ذلك ،وقام الدلائيون بإدماج العقبة والرباط في سلا تحت قيادة سعيد الجنوي لأنه لم تكن لهم ثقة كاملة بالأندلسيين وقاموا بحصار العقبة (1644م) وأخرجوا منها سائر الدلائيين الذين كانوا لازالوا بها ،ولم يترك فيها إلا جنده لئلا تستعصي جنده مرة أخرى³،وولي عليها ولده محمد عبد الله وأسموه أمير سلا

وهكذا توالى حروب كثيرة بين الدلائين والأندلسيين وعقدت عدة إتفاقيات والمهم هنا إستيلاء المولى الرشيد على مصب أبي الرقراق وبسط حكمه فيها⁴ .

¹ نفسه،ص 291 .

² دفن العياشي رحمه الله بقشتالة .

³ جعفر بن أحمد الناصري ،المصدر السابق ، ص 216 .

⁴ نفسه،ص 290 .

هذه المنطقة في قيامها بالجهاد البحري كأقرب قاعدة بحرية إسلامية إلى المضيق الفاصل بين العالمين المتوسطي والأطلنتيكي، يذكر المؤرخون أن عدد النازحين الأندلسيين إلى ضفتي المصب خلال القرن 17م يتباين بين ثلاثة آلاف إلى ثمانية آلاف نازح أندلسي، وجراء الإضطراب السياسي الذي تسلط على السلطة الدلائية قد أنهك رجال الجهاد البحري وجعل الأسطول يتقلص إلى سفينة واحدة عاملة قبل سنة (1668م)، وقد شكل الأندلسيون أداة مهمة في طائفة البحارة والرياس المتميزة بحنكتها القوية محققين تكاملا ضروريا فيما بينهم طوال الجزء الأعظم من ق 17م من الوضعية المستقلة للمصب التي جعلتهم لا يعترفون بأية سلطة غير سلطة الممولين التي فتحت لهم مجالا لتنفيذ الإرتجال والإبداع الحر.¹

- وقد كون المهاجرون الأندلسيين بالرباط والقصبة في مستهل القرن 17م أسطولا حريا قويا أخذوا يغيرون به على مراكب الأعداء في عرض البحر ويهجمون وتطورت هذه القوة كما سبق وذكرنا في عهد العياشي والدلائين، وظلت تنشر الرعب في نفوس البحارة المسحيين طيلة القرن 17م الأمر الذي حمل الدول الأوروبية على أن تخطب ود المغرب وتؤدي له الجزية لضمان سلامة سفنها التجارية التي تعبر عباب الأطلنطيق .

و إزدهرت مع أسطول الجهاد من جديد صناعة السفن على ضفاف أبي الرقراق وزودت هولندا وهي من أعظم الدول البحرية في ذلك العصر هذه المصانع بما تحتاج إليه من المواد، وكان البحارة العاملون في أسطول الجهاد مزيجا من المورسكيين والسلالويين وغيرهم من المتحمسين للقتال في سبيل الله أو الطامعين في الكسب والإغراء.²

¹ عثمان المنصوري، البحر في تاريخ المغرب، تح: عبد الجواد السقاط، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية، سلسلة الندوات 7، جامعة الحسن الثاني، المحمدية، (د ت)، ص 116 .

² محمد حجي، المرجع السابق، ص 189 .

وقد سماهم الأروبيون قراصنة سلا les corsaires de sale وكانت القرصنة البحرية عامة في هذا العصر يقبل عليها المسيحيون والمسلمون ،وقد غنم المجاهدون (قراصنة سلا) في ظرف عامين أربعين سفينة وإستولوا فيما بين 1618م/1626م على ستة آلاف أسير من الإفرنج و25 مليون ليبرة وكان الإسترقاق شائعا آنذاك عند المسلمين والأروبيين¹.

ولم تكن كل السفن الجهادية السلاوية في ملكية قائد المدينة بل كان أشخاص آخرون كالعلاج يملكون سفنا خاصة بهم وكان عددهم في عملهم الجهادي بعض المسحيين البرتغاليين فقط أنهم كانوا يستفيدون من مساعدة المدعو franciscodefeites و ابنه وسبعة أشخاص من الجنوب البرتغالي

وكانت تجلب المراكب الجهادية السلاوية من فاس ،وبادر الأندلسيون بتسليح سفن والخروج بها إلى عرض المحيط مع بعض الملاحين السلاويين ،يعترضون طريق سفن العدو من وإلى أمريكا الجنوبية ،فيحصلون على غنائم عظيمة منها وسفن تجارية وحرية بحمولها وعتادها².

- وقد كانت حركة الجهاد البحري التي يسميها الأروبيون القرصنة كسائر أنواع القرصنة نشاطا دوليا ذا طابع قومي لدى مجاهدي المغرب الإسلامي وفي الوقت ذاته كان القرصان لايراعي مصلحة وطنه في أي بلد كان ،بل يعتبر بإنتمائه إلى أسرة القراصنة أكثر مما يعد نفسه إنجليزيا أو هولنديا أو فرنسيا أو إسبانيا بل حتى مسيحيا أو مسلما³.

- دور الأروبيون :

يعتبر الأروبيون الذين إما أسلموا (علوج) أو إحتفظوا بدينهم هؤلاء لعبوا دورا مهما في الجهاد البحري والقرصنة ببعض الموانئ المغربية أكد fpraudel على نزوح آلاف الأروبيين إلى العالم الإسلامي

¹ حسن أميلي ،المرجع السابق ،ص 165 .

² محمد مرزوق ،المرجع السابق ،ص 67 .

³ إبراهيم حركات ،المرجع السابق ،ص 333 .

وإلى الإمبراطورية العثمانية على وجه الخصوص بسبب الرواتب العليا ومختلف الإمتيازات التي كانت تخصص لهم وتزايدت وتيرة ذلك النزوح خلال ق 17م فقد قدر الأب دان عدد الأروبيين الذين كانوا يقيمون بمدينة الجزائر¹، والذين كان جلهم يعمل في القرصنة بثمانية آلاف شخص، بينما تراوحت أعدادهم بتونس بين ثلاثة أو أربعة آلاف شخص وقدر نفس المصدر عددهم بسلا بثلاثمائة .

والتحق بقصبة الرباط عدد كبير من قراصنة العرائش والمهمورة الذين طردهم الاحتلال الإسباني كما قصدها بعض المغامرين بحثا عن الغنى وقد كان أولئك الأروبيين الذين كانوا بحارة متعودين على الملاحة بالمحيط ضروريين لإنطلاق الجهاد البحري بمصب أبي القرق وللتغلب على مشاكل الملاحة ب "بحر الظلمات " .

وتولد عن وجود أولئك الأجانب بالرباط خلق جو إختلطت فيه اللغات والعادات والتاجر بالمغامر والقنصل بالرهبان المنتمين لعدة جنسيات الوافدين من أجل تحرير الأسرى وكان لأولئك الأجانب هدف مشترك، الحصول على أكبر الفوائد من القرصنة والغنائم التي تسمح بها .

وكان الإستثمار في العمليات الجهادية حكرا على الهورناتشين الذين كانوا يسهمون كل حسب إدخاره وما توفر لديه وكان المستثمرون يلجأون إلى الإقتراض من اليهود في حالة ما إذا لم يتوفر لديهم ما يكفي لتغطية مصاريف عملياتهم .

- كانت السفن المجهزة تمثل خصوصا إذا كانت من حجم معين إستثمارا حقيقيا يمكن أن يهم عددا كبيرا من الأشخاص إذ كان يتعين إيجاد المركب ولوازمه وتجنيد طاقمه وجد فيه هذا فضلا عن رياس البحر والبحارة.²

¹ أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 42 .

² أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 16 .

- أنواع السفن : "سفن سلا "

كانت السفن المنشأة بدار الصناعة السلاوية يعتبر فيها قبل كل شيء أمران :

1/ إتقان صنعتها ومراعاة سائر الصفات الفنية التي تخولها مقاومة زوابع البحر المحيط .

2/ أن لا تتعدى في الجرم طولاً وعرضاً قدرهما معيناً وخصوصاً العمق الغاطس في الماء ليتمكنها

الدخول والخروج من مصب الوادي بسهولة وفي كل وقت ولا سيما في حالتي المد والجزر .

كانت على أنواع : منها ما يجري بالمخاضيف فقط ومنها ما يجري بالشرع فقط ومنها ما يجري بهما

معاً في حالتي هبوب الريح المطاوعة ، وكان لكل منها عمودان أو ثلاثة تنشر عليها القلوع والشرع وتربط

بها الحمالات وتزفر راية الدولة والسفن المربعة ، وهي التي تكون نسبة طولها ثلاثة أو أربعة وهذه السفن

إن كانت قليلة السرعة فإنها سهلة الدوران والإنقياد ولو مع هيجان البحر¹

ونوع يعرف بالسفن الطويلة : وهي التي تزيد نسبة طولها عن عرضها من خمسة إلى تسعة وهذا

النوع سريع الجري خفيف الحركة .

. أنواع السفن :

. الشواني : مفردتها شونة أو شني وهي سفينة حربية ضخمة يتراوح طولها إلى 200 متر تقريباً ، ذات

أبراج وقلاع تستعمل للدفاع والهجوم².

. البطس : جمع بطسة أو بطشة وهي من السفن الحربية الكبيرة تتمثل على عدة طبقات وتسير

بالأشرعة حيث لها أكبر من أربعين شراعاً ، تعتبر ناقلة للمؤن والذخائر فضلاً عن المحاربين والأسلحة³.

¹ نفسه ، ص 17 .

² حقودة عبد الرحمان وآخرون ، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ، ط 1 ، مركز المناهج ، 2005 ، ص 35 .

³ الحسين القصي ، الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي والعثماني ، ط 1 ، المؤسسة الحديثة للكتاب ، لبنان ، 2004 ، ص 330

- الحربية : جمعها حراي وهي نوع من الشواني ولكنها أصغر حجما تمتاز بخفتها وسرعة حركتها
أستخدمت في المطاردة¹.

- المسطحات : جمع مسطح هي من كبار السفن تستخدم في القتال البحري وهي ذات سطح
واسع يسمح بالقتال فوقه ،يجري في الحرب خلف المراكب الصغار لإنقاذ ركبها من الغرق ،كما عرغت
هذه السفن بالمراكب الحmale².

ونوع آخر يعرف بالسنبوك :يحمل نحو 25 بحارا و30 مدفعا ،ونوع يسمى كارفيل و بولاكرا ونوع
يسمى قبق ،ولكل نوع من هذه الأنواع خصائص في البناء والحمل والحركة يمتاز بها عن غيره ،وكان بحارة
كل سفينة يتراوح بين مائة وخمسة وعشرين إلى مائتين وربما بلغ ثلاثمائة بحار ومدافعها تتراوح ما بين
الخمس إلى الستة عشر مدفعا أو أكثر ،ومحمولها يتراوح ما بين مائتين إلى ثلاثمائة .

وقد كان بحوزة السلاويين سنة 1635م أسطول مكون من ثلاثين قطعة وهو ما مثل ربع المراكب
القرصنية بالمدن المغاربية الأربع وخول لسلا المرتبة الثانية بعد كل من (الجزائر 70 مركبا ،تونس 14
مركبا ،طرابلس 8 مراكب)³

- وكان للمراكب القرصنية ثلاثة مصادر :

1/الإستيراد:وخصوصا من هولندا التي كان يجمعها مع السلاويين عداا مشترك بالإسبان إلا ان
هذه الدولة لم تزودهم بكراكب جاهزة كثيرة .

2/ الغنائم في البحر:وقد كان القراصنة يختارون من تلك الغنائم ماهو صالح للإستعمال الفوري أو
ليكون نموذج بأوراش الرباط .

¹ حقودة عبد الرحمان ،المرجع السابق ،ص 35 .

² حقودة عبد الرحمان ،المرجع السابق ،ص 96 .

³ أحمد بوشارب ،المرجع السابق ،ص 17 .

3/ الصنع المحلي: بالأوراش الموجودة أسفل صومعة حسان .

. طواقم المراكب القرصنية :

1/ الرئيس: كانت السفينة تحت قيادة رئيس يختار لتجربته في ميدان الملاحة وبلائه في العمل القرصني وكفائته وقدرته على التسيير ، وهم من العلوج المنحدرين من أصول أروبية .

2/ المحاربين: هم الذين يقتحمون المراكب المهاجمة ويجوضون العمليات العسكرية اللازمة للسيطرة عليها وكان أولئك المحاربون مسلحون بالسيوف والفؤوس والبنادق ، وكانوا من الأندلسيين أو من القبائل المجاورة¹ .

- وقد إرتبط عدد أفراد الطاقم بحجم المراكب وتراوح بين الثلاثمائة بالنسبة لأضخمها ، والثمانين شخصا بالنسبة لأصغرها وقد إقتصرت التغذية في المراكب الجهادية حسب الأب دان على البسكويت والزيت والخل والأرز وباقي الخضروات والبطور يتكون من الخبز والزيتون والغذاء من الخليع والعشاء من الحمص والكسكس² .

- الطبقة (1): للروؤساء .

- الطبقة (2): لباشا رئيس .

- الطبقة (3): لرياس قشته .

- الطبقة (4): اليكاجية .

- الطبقة (5): الدمانجية .

¹ أحمد بوشارب ، المرجع السابق ، ص 21 .

² نفسه ، ص 22 .

- الطبقة (6): للوارديات وعددهم كثيرا جدا .
- الطبقة (7): للبحرية وهم أكثر عددا ممن قبلهم .
- الطبقة (8): لوصفان السلطان أهل المهدية من عبد البخاري .
- الطبقة (9): للمقعدين من البحرية الذين تجري عليهم الجراية ثم عدد رجال النار وهم الطبنجة وعددهم خمسون ومنهم فرصة التعرف بالطبنجة وعددهم مائة وخمسون ورايس جند النار من الطبقية في ذلك العهد هو الحاج عبد الله يعقوب السلاوي¹.
- أهم القراصنة السلاويين وأشهرهم :

1/ الـرايس مراد: الذي ورد إسمه في المصادر الأوروبية كان هولندي الأصل يسمى janjansz أعطى للقرصنة السلاوية بعدها الدولي إذ عرفت تحت إشرافه أقصى توسع في إتجاه الشمال ،وقد تمكن من جمع ثروة خيالية إلا أنه قرر الإلتحاق صحبة عائلته بالجزائر للإقامة بها².

2/ عبد الله بن عائشه: كان آخر أكبر رياس مصب أبي الرقراق ،شرع في نشاطه القرصني حوالي 1672م دون أن يستطيع إثارة الإنتباه ،وقد كان في سنة 1684م يتقلد مهمة "قائد سفن سلا" وإستولى سنة 1684م على مركب فرنسي وقد أسر مركب يحمل 22مدفعا ومركب برتغالي خلال عودته من البرازيل وله إنجازات أخركثيرة وعظيمة ،وقد حظي بتقدير كبير من السلطان المولى إسماعيل الذي كلفه بالسفارة الشهيرة إلى باريس³.

- الموارد المالية للجهاد البحري :

كانت العمليات الجهادية يسمح بها المخزن بل ويشجعها وذلك لعدة أسبابمناها:

¹ جعفر بن أحمد الناصري ،المصدر السابق ، ص 67 .

² أحمد بوشارب ،المرجع السابق ،ص 22 .

³ نفسه ،ص 24 .

. الإحتلال الإسباني لسبتة ومليلة ورغبة المورسكيين في أخذ الثأر لأنفسهم ولمساندة العثمانيين ولم يتوقف هذا النشاط إلا بالتدرج خلال القرن 19 م .

. وقد أسهم رياس آخرون في شهرة القرصنة السلاوية :

. الحكيم:الذي كان مساعد عبد الله بن عائشه والذي بقي يمارس نشاطه من سنة 1671م إلى أواسط القرن 18.

- رايس فنيش:الذي كان بدوره إلى جانب بن عائشة .
- رايس أصغير: 1691 م.
- رايس جعفر:علج إنجليزي 1630م.
- علي هرادو: 1635م .
- أحمد القرطي: كان على متن المركب الذي أسره قرصان هولندي 1.

¹أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 24 .

لقد تعددت وتنوعت مواسم ومراحل الجهاد البحري في المغرب الأقصى وذلك نظرا للظروف المناخية الطبيعية وكذا لكمية ونوعية السفن المتواجدة على سطح البحر ومدي ضعف وقوة العدو ومهارة المجاهدين المغاربة .

كما تنوعت طرق توزيع الغنائم بمختلف أنواعها من فترة إلى أخرى ، وهذا راجع إلى عدة أسباب كان أهمها دخول عمليات الجهاد البحري أو القرصنة تحت إشراف الدولة التي بدأت في إحتكار هذا النشاط شيئا فشيئا .

أما عن الوضع العام في المغرب خلال القرن 11هـ/17م فقد اتسم بربط علاقات سياسية وتجارية مع دول أوروبية ومن بين هاته الدول نجد: فرنسا وإنجلترا وإسبانيا فارتبطت هاته العلاقات بأوضاع البلاد المغربية حيث كانت تتأرجح بين العلاقات السلمية التجارية تارة ثم تنقلب فجأة إلى علاقات صدامية عدائية تارة أخرى .

كما كان للجانب الدبلوماسي من سفارات وإتفاقيات ومعاهدات الدور البارز في تلك العلاقات بين الطرفين ، وخاصة في فترة السلطان المولى إسماعيل ومحمد بن عبد الله الذي إتخذت في عهده العلاقات السياسية للمغرب الأقصى نوعا يختلف عما كان عليه في الفترة السابقة.

كما ساهم بعض السلاطين المغاربة وبصفة خاصة المولى إسماعيل ومحمد بن عبد الله في تطوير وإحياء الأسطول المغربي وتقوية عمليات الجهاد البحري والقرصنة وذلك بزيادة عدد المركب والسفن وإستيراد مستلزماته من عتاد وأسلحة وكذا اللجوء إلى خبرة الأجانب في هذا الميدان .

المبحث الأول :

مواسم ومراحل الجهاد البحري وطرق توزيع الغنائم :

أولاً: مواسم الجهاد البحري :

كانت الرحلات البحرية تتوقف بداية شهر أكتوبر إلى غاية شهر أفريل ، حيث لم تكن السفن تسلم من أخطار البحر ، ولم يكن يسمح لها بالإبحار شتاء إلا في حالات نادرة ، وكانت تستأنف رحلاتها حينما تهدأ حركة المحيط بداية من شهر ماي إلى غاية شهر أوت من كل سنة¹

وكانت السفن تترصد بعضها عند مصبات الأنهار لترصد تحركاتها خلال رسوها للتزود بالماء أو لقضاء الليل أو للاجتماع من العواصف .

اتخذت الدول جملة من التدابير لحماية سفنها التجارية وأمن ركابها ، ففي سنة 1569 محرمت البندقية على سفنها الإبحار بداية من الخامس عشر من شهر نوفمبر إلى غاية العشرين من شهر جانفي من كل سنة .

كما كان قادة السفن والأساطيل يؤكدون على خطورة الملاحة شتاء ، فالدون قارسيا توليدو جنرال البحر في عهد الملك الإسباني فيليب الثاني يعترض على أوامر الملك بدفع أسطوله في البحر في نوفمبر سنة 1564 م لإخماد ثورة كورسيكا ، ومدافعا عن موقفه بجملة من الحجج ، والأدلة وقد أكد السفير الإسباني في جنوه أن كل الحملات البحرية المبرمجة شتاء ماهي في الحقيقة إلا مضيعة كبيرة² .

¹Fernand praudel : lamediterranee et le monde mediterraneen a l epoque de philippell ; 3t ;9eme edition .armand col .paris 1990 ,t 1,pp300 301

²أحمد بن محمد سحنون الراشدي ،النغر الجماني في ابتسام النغر الوهراني ،تح :المهدي البوعبدلي ،منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،الجزائر ،1973م ،ص 247 .

كانت السفن تبحر في قوافل، ولم يكن همها فقط تفادي ملاحقات القراصنة، بل كان أيضا تبادل المساعدة في حال التعرض للعواصف البحرية، أو الغرق، وكانت تحرص على تأمين خطوط سيرها بمحاذاة السواحل المغربية في اتجاه غرب إفريقيا، وكانت تضطر للتوقف في بعض المراكز الساحلية للتزود بالمياه والمؤن، وكان تأمين المراكب معتاد وكان يشمل المركب والرحلة ضمن شروط محددة ووفقا لخط سير موضح بدقة في عقد التأمين، وكان التجار يلتزمون بدفع كراء السفن، وضمن ما عساه أن يؤخذ في البحر من أسارى، وكان التنافس بين المؤمنين يشجع التجار الذين يستفيدون من أجرة حمولة رخيصة كما كانت هناك تأمينات خاصة ضد مخاطر القرصنة والبحر.¹

ثانيا: مراحل الجهاد البحري في المغرب الأقصى:

. يمكن التمييز بين ثلاث مراحل كالتالي :

المرحلة الأولى (1610م/1626م):

انطلاقا من 18 أبريل سنة 1610م كتب فوكل إلى هنري الرابع عن عمليات الجهاد البحري التي كان يقوم بها المورسكيون إذ أن عمليات الجهاد البحري الرئيسية والمنظمة لم تبدئ إلا في سنة 1617م فقد كتب القبطان الهولندي ابي ولمس إلى روتر دام يقول: "منذ سنة لم يكن المورسكيون يملكون سفنا و الآن أصبح عددها أربع، وسيصبحون أقوىاء إذا لم تتخذ الإجراءات الضرورية ضدهم، وهم لا يخضعون لسلطة ملك المغرب ويستحذون على كل ما يغمنونه " ويقال أن مجاهدي سلا وتطوان بدأوا يستخدمون سفنهم منذ 8 سنوات وأسروا حوالي 6 آلاف أوروبي واستحذوا على حوالي 15 مليون ليبرة... ورغم أنهم لم يتبدأوا عملياتهم إلا بسفينة واحدة، فإنهم اليوم يملكون أكثر من 60 سفينة.²

¹ أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 100 .

² محمد رزوق، المرجع السابق، ص 211

وقد بدأ الأندلسيون عام 1622م يصاحبون مجاهدي الجزائر في مغامراتهم في بحر المانش واشتدت في السنوات التالية هجمات الأندلسيين على الشواطئ الإنجليزية، بل وهاجموا صيادي (الأرض الجديدة)، وقد كتب طوماس سلي عمدة بليموث إلى مجلس اللوردات في أواخر أفريل سنة 1625م يقول إن: "مجاهدي سلا قد أغاروا على ساحلنا (الساحل الإنجليزي) فنهبوا عدة أشياء ... وفي تقرير آخر لرجل يدعى وليم كرت بعثه من بليموث 17 ماي سنة 1625م يقول: "يذكر أنه سافر من مرفأ بليموث على متن سفينة هولندية في رحلة تجارية إلى البرتغال وخلال ستة أيام من إبحارهم من بليموث دهموا بمجاهدي سلا فأخذ هو وأربعة إنجليز آخرين، ومن كان معهم من الهولنديين لكنهم اكتفوا بأخذه وباقي الإنجليز الذين كانوا معه إلى سلا¹، وبعد ثمانية أسابيع خرج مع مجاهدي سلا في إحدى سفنهم مع خمس سفن أخرى متجهة إلى سواحل الإنجليز، وتمكنت من أسر سفينة من لندن وأخذت معها رجالها الأحد عشر ومدافعهم وأغرقت السفينة، وبعد ستة أيام من ذلك أسروا سفينة فرنسية وسفينة أخرى صغيرة وستين رجلا كانوا في تلك السفن، فأخذ المجاهدون هؤلاء الرجال إلى سفنهم وسلسلوهم وتركوا المراكب².

وبعد ذلك ب 12 يوم أسروا سفينة من بليموث كانت قاصدة إلى نيوفونلندا (الأرض الجديدة) في رحلة صيدية فأخذوا رئيسها و 17 من رجالها الممتازين³.

المرحلة الثانية: (1626م/1641 م) :

بدأ سنة 1627م مراد العليج القائد البحري الشهير بعمليات واسعة النطاق إذ استطاع أن يصل إلى إسlanda، وانطلق سنة 1631م في مغامرات جريئة على سواحل إرلندا وهكذا استولى المجاهدون فيما بين (1620م/1630 م) على أكثر من 100 سفينة مسيحية

¹ محمد رزوق، المرجع السابق، ص 212 .

² الناصري، المصدر السابق، ص 58 .

³ محمد رزوق، المرجع السابق، ص 213 .

، وأمام تزايد عمليات الجهاد البحري حاول الأروبيون أن يقوموا بعمليات إنتقامية ضد المجاهدين ففي 1627م من مدينة لابلانس أول قوة بحرية من أوروبا ضد مجاهدي سلا وكانت تحت قيادة إسحاق رازيلي ووصلت إلى سلا 20 ماي ، لكن مهمتها لم تكن هجومية بل كانت مهمة تخليص الأسرى الفرنسيين فقط وعقد هدنة مع الطرف الآخر ، وقد رفض الديوان أول الأمر طلب الفرنسيين فقام هؤلاء بهجوم على الميناء تمكنوا خلاله من حرق ستة (06) سفن للأندلسيين مما اضطر بالديوان إلى عقد هدنة مع الفرنسيين مدة خمسة أشهر في 2 أكتوبر 1629م ، ولكن قائد الأسطول الفرنسي اضطر للرجوع قبل أن يخلص الفرنسيين مما جعله يرجع في العام الموالي إلى سلا ويأسر ثلاث سفن للأندلسيين ويمنع 17 سفينة للمجاهدين من الخروج¹.

وبعد ذلك اضطر الديوان إلى فتح مفاوضات جديدة مع الفرنسيين تمكن خلالها هؤلاء من تحرير 200 أسير فرنسي ، وفي سنة 1630م عقدت اتفاقية بين الطرفين بمقتضاها يسمح للسفن الفرنسية أن تتاجر مع المجاهدين بكل أمان وبعد هذه الإتفاقية عقد الوليد بدوره هدنة 1631م مع لويس الثالث عشر ، ولكن بخطأ من اليهودي الهولندي دافيد بالاش الذي لم يخبر السلطان بمصادقة ملك فرنسا على الهدنة ، أعطيت الأوامر بإستئناف الجهاد البحري ، وقد تناقصت عمليات الجهاد البحري سنة 1632م بفعل هجمات العياشي ضد القصبة ، لكن الأندلسيين إستأنفوا نشاطهم سنة 1633م بعد أن ضمنوا تأييد السلطان لهم².

وبدأوا من جديد في اكتساح البحر وفي سنة 1634م أمر الوليد بتوقيف الجهاد البحري ، إلا أن هذا لم يرضي الديوان الذي لم يكن في الواقع يخضع لأمر السلطان وبعد مفاوضات طويلة بين الوليد ولويس الثالث عشر عقدت اتفاقية سلام 1635م وقد وصلت إلى سلا

¹ محمد رزوق ، المرجع السابق ، ص 223.

² نفسه ، ص 214.

خمس 05 سفن تجارية مأسورة محملة بالقمح والسكر ولم يعطي الأندلسيين موافقتهم النظرية على الإتفاقية إلا أواخر سنة 1635م .

وقد عرفت سنة 1636م أزهى أيام الجهاد البحري إذ تعددت عملياته ضد إنجلترا بالخصوص¹

فقد ذكر عمدة بليموث أنه يوم 1636م تمكن المجاهدون من أسر 300 إنجليزي اخذوا إلى سلا ،وقد اضطر الأندلسيون إزاء الإضطرابات الداخلية والحصار إلى تخلص الأسرى الإنجليز وقد توقفت نتيجة ذلك عمليات الجهاد البحري لمدة سنتين ،لكن مع ذلك فإن نتائج العشر سنوات الأخيرة لم تذهب سدى إذ استطاع الديوان أن يتجمع لديه حوالي 27 مليون دوكا.²

المرحلة الثالثة : (1641 م . 1668 م) :

استمر المجاهدون في هذه المرحلة في عملياتهم الجهادية ضد السفن الأروبية ،بحيث أصبحوا يشكلون خطرا حقيقيا عليها ،ومع ذلك فإن رد فعل الأروبي ظل ضعيفا ،إذ فضلت الدول الأروبية التفاوض على أمل أن تتجنب أكبر قدر ممكن من الخسائر ،ففي سنة 1649م حاولت هولندا تخريب أسطول المجاهدين عن طريق أسطولها بقيادة جويس فان كا ،لكنها لم تحقق إلا نتائج جزئية وفي السنة الموالية بعثت بأسطول آخر لمحاصرة سلا ،وانتهى الحصار بعقد معاهدة في فيفري 1651م وجراء ذلك سمح الأندلسيون لمجاهدي تونس والجزائر وطرابلس ببيع الغنائم الهولندية لسلا .³

¹ محمد رزوق ،المرجع السابق، ص 214 .

² أحمد بن جعفر الناصري ،المصدر السابق، ص 234 .

³ أحمد بوشارب ،المرجع السابق، ص 235 .

ثالثا: طرق توزيع الغنائم

شكلت عائدات الغزو البحري دافعا قويا لدى سلاطين المغرب من جهة ورياس البحر من جهة أخرى لتطوير هذا النشاط ،فقد وظفت هذه العائدات للنهوض بصناعة السفن ودعم الخزينة بما يناله من أسلاب وساهمت في حركية التجارة خاصة البحرية وكذا ساهمت في بروز أروسطوقراطية إغتنمت من القرصنة ومايرتبط بها ¹.

1 - توزيع الغنائم قبل خضوع القرصنة لإشراف الدولة :

بمجرد وصول السفينة القرصانية إلى المرسى يجتمع المأل من الناس لرؤيتها ²، وإذا علموا وتحققوا نجاحها وسلامتها وأهمية غنيمتها ،أعلنوا عن ذلك بعدة طلقات مدفعية من أبراج المدينة علامة على فرحهم وإبتهاجهم برجوع قراصنتهم سالمين غانمين ،ثم تجتاز السفينة المصب وتشرع في إفراغ شحنتها من البضائع والأسرى أمام الجماهير المحتشدة من الأندلسيين والتجار والسماصرة وفي مقدمتهم مجهز السفينة يتلقى التهاني من الحاضرين ،ثم يقع إستعراض القراصنة الذين نزلوا من السفينة وأمامهم أسراهم مارين بسائر شوارع المدينة وأزقتها ليراهم البعيد والقريب ³.

كانت السلع المعروضة للبيع محلوبة من مختلف بقاع العالم ،وبما أنها كانت موجهة لأروبا فإنها لم تكن بالضرورة تناسب حاجيات الإستهلاك ببلاد المغرب الأقصى ،مما كان يعجل بإعادة تصديرها إلى تلك القارة ،ولعب اليهود دور الوسيط الضروري في عمليات البيع وكانوا لذلك أكبر مستفيد منها ،كما أن القناصلة والتجار الأوروبيين المستقرين بسلا والرباط إهتموا بذلك النشاط وإستفادوا منه ⁴.

¹ أحمد بوشارب ،المرجع السابق ،ص 28

² حيث إتخذ الأندلسيون بأعلى منار حسان مرقبا يراقبون به السفن المقبلة من البحر قاصدة المصب ومنارا يرشدها إلى البر كما إتخذوا في أسفله مصنعا لها ،أنظر : جعفر الناصري ،المصدر السابق ،ج 5 ،ص 59.

³ نفسه ،ص ص 59-60

⁴ أحمد بوشارب ،المرجع السابق ،ص 28.

2 - إستعراض الأسرى وبيعهم :

مثل الأسرى أهم سلعة وأكثرها رواجاً، فكانوا يخضعون فور إستسلامهم بمراكبهم لعملية فرز فقد كان ترجمان المركب يحرق لوائح تتضمن إسم الأسير وسنه وجنسه ومهنته وتاريخ الاسر والسفينة التي كان فيها¹، وبعد ذلك يعرض الأسير للبيع بالمزايدة بالمحل المخصص لبيع الرقيق فينادى بإسم بلده فيقال هذا إسباني وهذا برتغالي مثلاً².

وقد كان يأتي في الكثير من الأحيان وفود الرهبان والموفدين من الحكومات الأوروبية قصد تحرير أسراهم، وكان ثمن الشراء والتحرير مرتبطاً بعدة عوامل أهمها الوضع الإجتماعي للأسير وحالته الصحية وسنه حيث بلغ الثمن الذي كان الرهبان يدفعونه 600 ليرة وكان اليهود أكثر الوسطاء نشاطاً في هذا الميدان، ولكي يعجل الأسرى بتحرير أنفسهم كانوا يكتبون حكوماتهم وذويهم للإسراع بجمع مايتطلبها لإفداء، كما إستطاع عدد من هؤلاء الأسرى إسترجاع حريته بإعتناقه للإسلام³.

كما كان يشترك في شراء الأسير الواحد أكثر من شخص فكانوا يعتبرون ذلك إستثماراً قد يجنون منه ربحاً معتبراً بعد التحرير ففي سنة 1670م ساهم سبعة أشخاص في شراء أسير فرنسي، وخلال نفس السنة إشتراك أربعة أفراد في شراء أسير هولندي، وفي إنتظار حصولهم على مبالغ الإنعتاق كان الملاك يكرون أسراهم لمن هو في حاجة إلى خدماتهم وسواعدهم⁴.

¹ قدر فرنسي عدد الأسرى سنة 1629م بستة آلاف شخص وقد ردت بعض المصادر الإنجليزية عدد الأسرى الإنجليز في المغرب الأقصى سنة 1625م بألف وخمسة مئة نفر، أنظر: أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 30.

² كانت المحلات المعدة لبيع الرقيق في الرباط عبارة عن محلات واسعة عليها قبب كبيرة بالقصبة قرب الوادي بناحية قصر الحكومة، أنظر جعفر الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 60.

³ حسن أميلي، المرجع السابق، ص 20.

⁴ كانت لا توجد دار من دور العدوتين في ذلك العهد إلا وفيها رقيق أوروبي فيستخدمون النساء داخل البيوت حضائياً وسراياً فيصرون أمهات أولاد وخادmates ويستعملون الرجال غالباً في القيام بالأعمال الخارجية كالبناء والخدمة في الأجنحة والبساتين، أنظر: جعفر الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 178.

3 - توزيع باقي الغنائم :

كان التوزيع الجاري به العمل للغنائم أيام الجمهورية الموريسكية كمايلي:

- 10% للسلطة المركزية (ديوان سلا)

- 40% يأخذه مجهز السفينة أو الرئيس لتعويض النفقات المرصودة للرحلة وليعيد التجهيز مرة أخرى .

- أما النصف الباقي (50%) من الغنيمة يعطى لطاقم السفن يأخذ منه الضباط والريان والطبجي والجراح ثلاثة أقسام والقسمان الآخران يختص بهما موجه السفينة والقلفاط وجنود المدفعية ،وفي حالة القيام بعمليات غير مثمرة لم يكن الطاقم ليحصل على شيء سوى ماناله من طعام وغذاء أثناء الرحلة ،أما السفينة المغنومة فتضاف إلى الأسطول القرصاني إن كانت صالحة له ¹.

4 - توزيع الغنائم في ظل إشراف الدولة عليها :

لما صار الأسطول ملكا للدولة العلوية يغزوا بإسمها وتقوم بشؤونه وتجهزه تغيرت الوضعية المادية للقرصنة بصورة محسوسة حيث صارت قسمة الغنائم كما يأتي :

- الخمس للسلطان عملا بالقاعدة الشرعية لقوله تعالى "واعلموا أن ماغنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ... " من الأموال والرقاب بعد الإختياروالإصطفاء ذكورا وإناثا ،فيستخدمون الذكور في البناء وتعمير القصور ،والإناث حضايا وخادومات في القصور السلطانية .

- ثم يأخذ أيضا زيادة على الخمس النصف بصفته مالكا للسفينة ومجهزا لها ويقتسم البحارة الباقي بينهم على السواء ،وينالون عن كل أسير 50 أوقية ويختص الرئيس بملايس القبطان المسيحي ويترك ماعدا ذلك طعاما سائغا لرجاله من ماعون ومؤن بإستثناء البضائع ².

¹ روجي كواندرو ،المرجع السابق ،ص 55.

² جعفر الناصري ،المصدر السابق ،ج 5، ص 178

ومالبت أن تدهورت مداخيل القرصنة على عهد السلاطين وأخذ البحارة يحصلون على أجرة زهيدة ما بين أربع إلى ست دوقات وسترة قصيرة وبنطال، وهكذا صاروا مشمئذين من القرصنة، وكثيرا ما كان يفرض الإبحار بالقوة على الأطقمة المتمردة وفيما يخص الرؤساء فقد اضطروا إلى الإكتفاء بعطايا هزيلة عوضا عن أنصبتهم الوفيرة من الغنائم سابقا، وبقي الأمر هكذا خاصة بعد توقيع معاهدة 28 ماي 1767م مع فرنسا¹.

هكذا كانت القسمة في عهد السلطة العلوية ثم سار الكل يحاز للسلطان ويأخذ أصحاب السفينة من الرؤساء وغيرهم من طاقم السفينة أجرة مقدرة مقررة معلومة، كما يختص الرؤساء وخلفاؤهم بكسوة خاصة هي جبضول قصير وسروال من الملف.

وفي عهد السلطان محمد بن عبد الله كان للرؤساء والبحارة إعتبار كبير وإمتياز، وكان ينفذ لهم حظهم من العطايا والهبات والصدقات التي ينفذها لغيرهم من الرعايا من حين إلى آخر، كما أمر بتحسين رواتب الطبجية والبحرية بعدما كانوا يأخذون مائة وثلاثون أوقية كل ثلاثة أشهر أصبحوا يأخذون ذلك نهاية كل شهر كما كان ينفذ لهم في كل مناسبة الكسوة والعطاء².

المبحث الثاني :

الأسطول البحري بين التفعيل والإنكماش :

1/ جهود أهم السلاطين المغاربة في تقوية الأسطول البحري:

إن أهم ما قام به المنصور هو اهتمامه بالجانب العسكري فقام بتقوية الجيش وتكوينه بإعتباره الأداة الفعالة في ضبط الأمن والدفاع عن حوزة البلاد، وهكذا قام بإنشاء جيش

¹ بمقتضى هذه المعاهدة إلتمز القراصنة بعدم أسر السفن الفرنسية ومقابل إلتمازهم هذا يحصلون على تعويض، وكان قنصل فرنسا يقوم بدور المحاسب للعطايا المقدمة من طرفه إلى القراصنة المنتدبين لهذه المهمة، وكان كل رئيس يأخذ عن كل حملة 4 أدرعة من القماش ورطل شاي وخبزي سكر والكل داخل منديل من الحرير، أنظر: روجي كواندرو، المرجع السابق، ص 55-56.

² جعفر الناصري، المصدر السابق، ج5، ص 179.

قوي مكون من جيش نظامي وآخر من المتطوعين ،بالنسبة للجيش النظامي :تكون من الأتراك والأعلاج والأندلسيين ومن انضاف إليهم من أهل سوس ومراكش ،وقسم إلى فرق جعل لكل منها لباس خاص ،وعين على رأسها قائدا وضباطا مرتبين ترتيبا عسكريا مستمدا من العثمانيين ،وجيش المتطوعين عرف بجيش عرب الدولة وهو مكون من القبائل الموالية للدولة وكانت تمد المنصور بقوات من الفرسان والمشاة مقابل تمتعها ببعض الإمتيازات مثل إعفائهم من الضرائب وإقطاعهم بعض الأراضي .

وقد إهتم بالجانب الإداري أيضا إلا انه شرع في أواخر حياته فقط في تقوية الأسطول البحري ،وقد كانت أنظار المنصور متجهة كلها للإستلاء والهجوم على الجزائر فقد شن عليها عدة غارات وحملات

1 . المولى اسماعيل :

لقد بادرمولى اسماعيل في الإسهام المباشر في تمويل المواسم الجهادية بتملك عدد من السفن راح يرتفع على حساب سفن الخواص سنة بعد أخرى ،خالقا بذلك منافسة غير عادلة واجهت فيها الإستثمارات الخاصة قوة الدولة وسلطتها¹ ،سرعان ما مالت الكفة لفائدتها إذ في غضون خمس سنوات إرتفعت ملكية السلطة إلى نسبة 60% من مجموع وحدات الأسطول (7/4 سفن سنة 1671م) ومنه بداية العهد العلوي بالمنطقة قد زامن توقف للجهاد البحري جراء الإضطراب السياسي الذي غمرها عند تدهور السلطة الدلائية فأهك رجال الجهاد البحري ،وجعل الأسطول يتقلص إلى سفينة واحدة عاملة قبل سنة 1668م².

وقد أتى دور السلطة ليؤثر في تطور نسبة سفن الخواص بممارستها لرقابة مشددة على أرباح الجهاد ،في وقت إرتفعت فيه التكاليف ونفقات التجهيز من جراء الحصار الإقتصادي

¹ حسن أميلي ،المرجع السابق ،ص 89 .

² أبو جعفر الناصري ،المصدر السابق، 236 .

الممارس من قبل الأساطيل الأوروبية، التي جعلت الحصول على المتطلبات الملاحية والعسكرية للسفن صعب التحقيق.

هكذا أضحي تجار المصب وممولوا المواسم الجهادية (السلطين) الذين كانوا يجهزون خلال المواسم العادية عددا من السفن يتراوح ما بين 10 إلى 12 وحدة¹ يتعدون بالتدرج عن مجال عملهم نافرين منه بسبب الكساد الذي بدأ يعرفه وغلبة مصاريفه الباهضة وبذلك اسندت مشروعية تجهيز سفن الدولة إلى مكلف رسمي يضطلع بقيادة مرسى سلا، في وقت كان السلطان يحصل على خمس الغنيمة (1/5) كحق شرعي أو بزيادة 100% ثم يضيف نصف الباقي كحق تمويل ملكية السفينة، ويحتكر كافة الأسرى مقابل هبة هزيلة، الأمر الذي جعل المداخل تتضاءل بقوة وكان لا يبقى للبحارة سوى مبلغ ضئيل مما دفعهم للضجر والنفور من هذا العمل، ولو لم يكونوا مجبرين على العمل على متن سفن السلطان لكان من الصعوبة إيجاد ولو بحار واحد راغب في العمل لأنهم كانوا يرون في ذلك مخاطرة بحياتهم وحريتهم مقابل لا شيء²

2/ جهود محمد بن عبد الله :

لقد كان للأسطول المغربي أيام المولى محمد بن عبد الله طابعا خاص بحيث جدد تكوينه بعد فترة الإضطرابات العسكرية التي تلت وفاة المولى إسماعيل، وقد كان لمحمد بن عبد الله إهتمام بالغ بالأسطول البحري منذ كان نائبا عن والده بمراكش، فأكرم وفادة رؤساء البحرية بالعدوتين وأمدهم بالمال والعتاد، وأنشئ مصانع للسفن الحربية بمرسى العدوتين والعرائش، وقد بلغ عنده رؤساء البحرية كلها بمراكبها وبحريتها، وكان عدد مراكبه البحرية عشرون كبار من المربع و30 من الفلاكيط وعدد عسكره البحري من المشاركة ألف، ومن المغاربة

¹ حسن أميلي، المرجع السابق، ص 90 .

² نفسه، ص 92 .

ثلاثة آلاف ومن رماة المدفع أربعون ومن عسكر أرقاء العبيد خمسة عشر ألف ومن الأحرار سبعة آلاف¹.

وقد بنى المولى محمد بن عبد الله سفنا بمرسى سلا سفينة عظمى ذات طابقين أنفق عليها نحو أربعين قنطار من الذهب في كل طبقة صفان من المرافع النحاسية بلغ مجموعها 54 مدفعا، وعدد بحارها 330 واسند قيادتها للرئيس سالم الطرابلسي، ولما قويت شوكته ونظمت إدارته جدد صناعة السكر التي كانت عنوان تقدم المغرب الصناعي، وكذلك صناعة السفن التي جلبت للمغرب رجالا من طرابلس وتونس والجزائر، كما قسم المملكة إلى 19 مملكة ونشر القضاة في مختلف الجهات ثم عين لكل ناحية مركز.

وقد إهتم بالبحر مثل اهتمامه بالبر، فشيد السفن وكون الجيش شن نظمه كما يلي : في ميدان المشاة كان المشاركة وهم الأحلاف ويزناتونكاء ومنبع وجريز وكلها قبائل شرق المغرب 1000 والمغاربة 3000 . مدفعية الرماة 40 . السود أو جيش البخاري 1500- البيض 7000².

أما في ميدان البحر بعدما أنشأ أهل سلا والرباط سفنهم الكبرى ذات الطبقتين سنة (1174 هـ / 1761م) "المعونة" التي أنفق في إنشائها أربعين قنطار من الذهب نظم القطع البحرية كما يلي :

- بواخر كبيرة 20 جندها 1430 مدافعها 232 .

- بواخر مساعدة 30 .

- رؤساء البواخر 60 .

¹ محمد حجي، الأسطول المغربي أيام العلويين، في مجلة دعوة الحق، من العدد 116، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر، الرباط، المغرب، 1957، م، ص 9 .

² ابن أبي الضياف، اتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان : تح : لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، مجلد 2، ج3، الدار العربية للكتاب، 1991، م، ص 170 .

- بالإضافة إلى قوات الحراسة بمختلف الأبراج والموانئ مثل :طنجة والعرائش والمهدية والرباط وسلا والمحمدية والدار البيضاء و أزموور وأسفي والصويرة وأكادير .

وكانت أقوى حاميات البحر فرقة سلا والرباط التي تناول قيادتها الرئيس العام لجمع الثغور الحاج عبد الله يعقوب السلاوي سنة (1177هـ / 1763م) ثم الحاج الهاشمي بن أحمد عواد السلاوي (1179هـ / 1765م)¹.

يذكر الناصري أن المولى محمد كتب إلى تجار النصارى بأسفي يأمرهم أنيشتروا "إقامة المراكب القرصانية من صواري ونطاقات وقمن ومخاطيف وحبال وقلوع وغير ذلك" فتنافسوا على الشراء.²

وأرسل لهذا الغرض سفراء إلى السويد وإنجلترا وفرنسا وتركيا لجلب ما يلزم للأسطول فأرسل سنة (1763م / 1764م) الرئيس الحاج التهامي الرباطي إلى السويد لجلب البارود ومستلزمات السفن ومنذ سنة 1750م قبل أن يعتلي عرش المغرب وإن كان أنذاك الحاكم الفعلي طالب مبعوثا إنجليزيا

بإمداده بحبال السفن والأشرعة والسلاسل والبارود ويستخدمها القراصنة المواليون في الرباط، وكان أحد أغراض البعثة إصلاح السفينة "النمر" وتجديدها، وكان يسعى في مفاوضات مع إنجلترا الذين كانوا بحاجة إلى المغرب لتموين جبل طارق إلى السماح بإصلاح سفنه وصيانتها في جبل طارق، وأرسل بعثة ثانية إلى تركيا حصلت من السلطان مصطفى على مركب يحمل مدافع ومهاريس وبارود ومستلزمات السفن وفي سنة 1766م أرسل السلطان محمد بعثة أخرى إلى اسطنبول عادت بمركب يحمل المدافع والمهاريس النحاسية ومستلزمات السفن وفيه ثلاثون من مهرة المعلمين الذين لهم معرفة بالمدافع وصناعة المراكب القرصانية.³

¹ أبو القاسم الزباني، ص 273 .

² أبو جعفر أحمد الناصري، المصدر السابق، ص 47 .

³ محمود علي عامر، المرجع السابق، ص 112 .

ويرى تراس أن هذه الجهود لم تحقق الغاية المرجوة فالوثائق الأوروبية كما يقول لا تشير إلى إحياء حقيقي للبحرية المغربية وكان أكثر ما تفتقر إليه البحرية الكوادر ورغم جهود السلطان فإن القرصنة كانت في إنحطاط في الوقت الذي قويت فيه البحرية الأوروبية، وبهذا مال إلى الإهتمام بالتجارة فإهتم بموانئ الأطلسي وإنشاء موانئ جديدة¹.

وقد كان محمد بن عبد الله مولوعا بالجهاد في البحر وإتخذ لذلك قراصين حربية تكون في غالب الوقت بمرسى العدوتين ومرسى العرائش، وكان سفرها في البحر مقصورا على شهرين في السنة زمن الشتاء لأن المراسي متصلة بالأودية وفي غير أيام الشتاء يقلل الماء ويعلموا الرمل بأفواه المراسي فيمنع من اجتياز القراصين بها².

المبحث الثالث :

إنعكاسات الجهاد البحري المغربي على الدول الأروبية

من الأكيد أن النشاط الجهادي القرصني المغربي أضر بالأنشطة الإقتصادية الأوروبية وإنعكس سلبا على المجتمع بشكل مباشر، بما يتطلبه تحرير الأسرى من تضحيات وصلت إلى حد الإفلاس بالنسبة لبعض الأسر، أو غير مباشر بما سببته من ركود للمدن، لذا سرعان ما شرع أصحاب السفن التجارية ورياسها في إتخاذ الإحتياطات اللازمة تفاديا للخسارة أو على الأقل رغبة في التقليل منها، فقد سلحوا مراكبهم وأصبحوا يتفادون الملاحنة منعزلين، ويعملون على ضمان حماية أسطول حربي لسفنهم التجارية خاصة³. كما نظمت الحكومات الأوروبية بعد تزايد شكاوى مواطنيها حراسة دائمة بالمناطق التي ينشط بها القراصنة، إلا أن كل تلك الإحتياطات لم تفد أمام خبرة القراصنة وحنكتهم.

¹ محمود علي عامر، المرجع السابق، ص 113 .

² أبو جعفر الناصري، المصدر السابق، ص 244 .

³ محمد القبلي، تاريخ المغرب تحيين وتركيب، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011، ص 422.

وكذا أمام سرعة مراكبهم وما كانوا يستفيدون منه من مساعدات خصوصا بالموانئ الهولندية¹.

وأمام فشل اللجوء إلى القوة حاولت الدول الأوروبية إقناع القراصنة عن طريق التعاون والاتصالات الدبلوماسية بالإمتناع عن التعرض لسفنها، إلا أن القراصنة لم يكونوا ليتوقفوا عن عمل كان مصدر غنائمهم لذا لم يكونوا يتنازلون بسهولة أو يتعهدون وكانوا يطلبون عن قصد المفاوضات، ويماطلون في توقيع الإتفاقيات رجحا للوقت²، مما إظطر القوى الأوروبية المتظيرة منع القراصنة من مغادرة الميناء بضرب حصار عليه وبمطاردة سفنهم، ومحاولة الإستيلاء عليها أو على الأقل تحطيمها إلا أن ذلك لم يكن عملا سهلا رغم التفوق العسكري الواضح للأوروبيين فقد كان القراصنة متفوقين في ميدان التكتيك، وكانوا يرفضون المواجهة والحرب معتمدين في ذلك على سرعة مراكبهم وسهولة قيادتها، كما أن ظروف الملاحة قبالة مصب أبي رقراق ووجود رياح غربية عاتية وأمواج عنيفة حالت دون إقتراب الأساطيل الحربية من الساحل ومغادرة المنطقة عند إقتراب فصل الخريف³.

وبذلك فقد كان الجهاد البحري هو السبب الأساسي الذي أدى إلى ربط علاقات سياسية وتجارية بين المغرب الأقصى والدول الأوروبية، فقد كان المغاربة في حاجة ماسة إلى العتاد والذخيرة وإلى الآلات الضرورية لتجهيز السفن وكذا إلى بعض مواد التموين، ومن جهتهم فإن الأوروبيين كانوا يريدون أن يفتدوا أسراهم ويأمنون سفنهم من أي سلب أو نهب من طرف سفن المجاهدين⁴.

¹ أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 30.

² دلندة الأرقش وآخرون، المرجع السابق، ص 313.

³ أحمد بوشارب، المرجع السابق، ص 31.

⁴ محمد رزوق، المرجع السابق، ص 223.

1. 1: أثر القرصنة على العلاقات المغربية الفرنسية

لقد لعبت القرصنة دورا خطيرا في توتر العلاقات بين الدولتين رغم إستمرار النشاط التجاري بينهما، لذلك نشطت الآلة الدبلوماسية المغربية الفرنسية على السواء وذلك لتكوين جو ملائم لتعزيز تلك العلاقات التي تراوحت على مر القرنين 16م و17م بنوع من العدائية حينما والسلم الحذر أحيانا، حيث توجهت فرنسا إلى تكثيف العلاقات الإقتصادية مع المغرب الأقصى ولذلك حرصت على حرية الملاحة في البحر الأبيض المتوسط وعلى سلامة سفنها التجارية التي كانت كثيرا ما تتعرض للقرصنة المغربية¹، فاستغلت فرنسا علاقتها التاريخية الحسنة مع الدولة العثمانية فكتب الملك الفرنسي هنري الرابع رسالة إلى السلطان العثماني محمد الثالث يشكو فيها أمر القرصنة المغربية، ويدعوه إلى مراسلة السلطان المغربي أحمد المنصور لينظر في الأمر، وقد كان بالفعل ما أراد للسلطان الفرنسي حيث وجه السلطان العثماني رسالة إلى السلطان المغربي حول هذا الشأن وذلك بتاريخ 23 أوت 1603م²

ويتضح من كل هذا أن علاقات فرنسا بالمغرب في أواخر القرن 16م /10هـ كانت علاقات في مجملها تدور حول مسائل القرصنة والأسرى الفرنسيين في المغرب الأقصى ومحاولة تحريرهم أو طلبات السماح للسفن التجارية الفرنسية باستعمال الموانئ المغربية³.

أما عن العلاقات المغربية الفرنسية في مطلع القرن 17م فإنه بسبب أعمال القرصنة البحرية وماترتب عنها من تدهور في تجارة الفرنسيين بالمغرب بالإضافة إلى عمليات الأسر رأت الحكومة الفرنسية أن تعين قناصل لها في مدينتي سلا وتطوان ليهتموا بمشاكل الفرنسيين في

¹ محمد المنوني، من أوجه علاقات المغرب الخارجية عبر التاريخ، في مجلة أمل، ع 05، السنة 02، 1994م، ص 20.

² جلول بن قومار، وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا، (البرتغال وإسبانيا) 1603/1578م

رسالة ماجستير، المركز الجامعي بغرداية، ص 127.

³ محمد حجي، الزاوية الدلائية، ص 179.

المغرب ويعملوا على إفتداء الأسرى 1 ، ثم إستعملت فرنسا سياسة التهديد بالقوة على مدار فترة حكم لويس الرابع عشر بإعتماد عمليات القرصنة كذريعة تبرر الهجوم وتعتمد من خلال ذلك إلى فرض الحصار وضرب القلاع وقنبلة المدن في العديد من المرات الشئ الذي نتج عنه إجبار المغاربة على السلم الفرنسي 2،

ففي فترة مابين 1670م إلى غاية 1727م قادت الوحدات البحرية الملكية الفرنسية عدة حملات موجهة في أغلبها ضد مدينة وميناء سلا وضواحيها مستغلتا حصار الأسطول المغربي الذي لا يستطيع مغادرة موطنه أو الإبتعاد عنها بأمال في هذه الفترة من تاريخه خوفا من الأساطيل الحربية الأوروبية التي تجوب السواحل المغربية لحماية التجار 3.

1. 2: أهم الحملات الفرنسية على المغرب الأقصى

1. حملة سنة 1670م بقيادة جون ديستري :

الكونت جون ديستري نائب أميرال البحرية الملكية الفرنسية أرسله لويس الرابع عشر في سنة 1670م على رأس حملة بحرية مكونة من ستة سفن من نوع القاليرات الكبيرة ، مهمتها تطويق ميناء سلا والشواطئ المغربية القريبة منه ومحاربة قراصنتها لكن الحملة فشلت بسبب ثقل السفن الفرنسية على عكس السفن التي يمتلكها قراصنة المغرب 4.

1 إن أعمال الرسل والسفراء أو التمثيل الدبلوماسي بدأ منذ القرن 17م بمعاهدة وستاليا التي حلت السفرات المستديمة محل نظام السفارات المؤقتة وأصبح تبادل المبعوثين بين الدولتين دليلا على حسن العلاقات وإستدعاءهم سوء للعلاقات ، للمزيد عن السفارات الفرنسية المغربية أنظر: جمال سهيل ، المرجع السابق ، ص 107.

2 أرسلت فرنسا سبع سفن حربية وخفارتين إلى سلا يوم 20 يونيو 1626م وذلك لإرغام الديوان على تحرير الأسرى الفرنسيين وإمضاء معاهدة سلم فضريت حصار على الميناء وأسرت وأحرقت وحطمت سبع سفن سلاوية كانت إحداها من الحجم الكبير، أنظر: أحمد بوشارب ، المرجع السابق ، ص 31.

3 محمد حجي ، الزاوية الدلائية ، المرجع السابق ، ص 181.

4 عمر بن قائد ، علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطة فرنسا إسبانيا من 1069م-

1139/1659-1727م ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث ، المركز الجامعي بغيرداية ، الجزائر ، 2011 ، ص

2. حملة شاطورونو لسنة 1671م :

سلم لويس الرابع عشر سفينة سانت لويس والفرقاطات العسكرية **les jeux friponnesla** إلى شاطورونو وأمره بالذهاب إلى دواخل الموانئ وخاصة سلا قبل أن تخرج منها سفن القرصنة ¹.

3. حملة شاطورونو الثانية لسنتي 1680م و1681م :

عمد شاطورونو إلى القيام بحملة جديدة وحصار إلى مدينة سلا معتمدا على عمارة بحرية مكونة من عشر سفن وتواجدت أمام المدينة لإرغام أهلها على السلم الفرنسي ، الأمر الذي جعل القائد عمر بن حدوا لحمامي يفاوض مبعوثي قائد الحملة ²، لكن لم يتوصل الطرفان إلى إتفاق وبتزايد نفقات الحصار وإقتراب مواعيد الإضطراب الجوية إظطر القائد الفرنسي إلى رفع الحصار ومغادرة الميناء ³.

4. حملة كوتلغان سنة 1698م:

جاءت هذه الحملة بتاريخ 28 ماي 1698م حيث عمد إلى حصار ميناء مدينة سلا ، لإرغام القرصنة السلاويين مغادرة الميناء الأمر الذي جعل عبد الله بن عائشة يقترح بواسطة أخيه عبد الرحمن لعرض الرغبة في عقد هدنة وليخبره بأن أخاه عبد الله لديه التفويض الكامل من السلطان من أجل السلام ⁴.

5. حملة الكونت فرديناند دو رولينغي لسنة 1699م:

في أواخر سنة 1699م جاء الكونت فرديناند دو رولينغي كقائد لأحدى الوحدات البحرية المكونة من عشرة سفن بحرية متنوعة

¹ عمر بن قايد ، المرجع السابق ، ص 104.

² روجي كواندرو ، المرجع السابق ، ص 70

³ عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ج 9 ، ص 70 - 71

⁴ عمر بن قايد ، المرجع السابق ، ص 103

الفرقاطات، وأتجهباً من السـ كرتير العامل للبحرية الملكية كـ ولبير
ولما وصل إلى ميناء سلا قدم رسالة من الملك لويس الرابع عشر، موجهة إلى السـ لطان
مولاي إسماعيل، وجاء فيها بأن يستشعر عظمة وقوة فرنسا، وأن يقبل شروط السـ للمقررة من
فرنسا، وكان رد السلطان أنه لا يكثر لتهديداً تأحد¹.

6. حملتي البارون بوانتيس لسنة 1700 مو 1705 م:

تمارس الحملة بقيادة هذا الرجل في صيف سنة 1700 مضد سلا، لكنه فشل فيها بعد حصار
، ثم أعاد حملة جديدة يوم 14 أفريل 1705 م، للمنطقة بلغت سفنها أكثر من عشرين سفينة جدد
فيها الحصار البحري على الشواطئ المغربية، ثم قامت بطويق مدينة طنجة وقصفها بالمدفعية².

7- حملة نانتييدوكاسار بين 1720 مو 1727 م:

جاءت أولاً وأمر لضباط البحرية منذ تاريخ 06 جويلية 1716 م، ثم في 08 جوان 1721 موكذا
في 23 جوان 1722 مبالعمل على تطويق الشواطئ البحرية المغربية، وعمد الضابط نانتييدوكاسار
لتقدم مشروعه عزولفرنسي على الشواطئ المغربية.

وأعطيت له الإمكانات في هذا الشأن أن منها الفرقاطة التي تحمل 50

مدفعا، ومجموعة من الزوارق عشرة شـ الويات، إتجهت هذا الحماـة إلى الجبل طارق
، ولكنها فشلت بسبب التواجد الإسـباني
الكثيف في هذه المنطقة وعلم مشارف الشواطئ المغربية حول سببها التعزيزات التي رابط بها السلطان المغربي³.

1. 3: مسائل الأسرى بين الدولتين

1- الأسرى المغاربة في فرنسا: كان الأسرى المغاربة يستعملون كمجدين في الاسطول
الفرنسي حيث يقعون في الأسر المباشر من طرف مراكب فرنسية، أو يتم تسليمهم من

¹ عمر بن قايد، المرجع السابق، ص 104.

² نفسه، ص 105.

³ نفسه، ص 105.

طرف دول أوروبية وكان يتم شراؤهم من ليفورن أو مالطا عن طريق قناصلتهم في هذه المدن¹، ففي سنة 1662م، وهي السنة التي أتت بعد تولي لويس الرابع عشر في فرنسا وتولية الوزير كولبير أمر البحرية، كانت القطع البحرية لا تتعدى الستة (06) غير قادرة على اجتياز معظم البحار الطويلة مع وجود 1655 رجل للتجديف، وبعد ثلاثين سنة مابين 1690م-1700م قفزت البحرية الفرنسية إلى أربعين وحدة بحرية و18000 رجل منهم 12000 أسير للتجديف².

2. الأسرى الفرنسيين في المغرب :

يتم أسرهم عن طريق الشراء أو الأسر في البحر أو البر فكانوا يستعملون في بناء القصور، وكذا كفنيين في الأسلحة الحديثة، وقد اعتنق الكثير منهم الإسلام وكانوا يقيمون في مقرات خاصة بهم عبارة عن مطامير أو أحياء سكنية معروفة بالسرداب المجاور لدار المخزن، وقد كانت الحكومات الأوروبية ومنها الفرنسية تجد في هذه المسائل حرجا لأنها نوع من الإذلال، ولهذا تركتها في الغالب للمؤسسات الدينية منها منظمة المذهب الثالوثي ومنظمة أباء الرحمة هذه الأخيرة التي ساهمت في إفتداء الآلاف من الأسرى³.

2. 1: تأثير القرصنة على العلاقات الإسبانية المغربية

إن العلاقات السياسية بين المغرب وإسبانيا كانت هي الأخرى متقلبة بين العداء والحرب تارة والسلم والمهادنة تارة أخرى، أما العلاقات العدائية فكانت نتيجة القضية المورسكية وملاحقة الإسبان للمسلمين في عقر دارهم بالمغرب، وكذا مشكلة القرصنة ثم محاولة هذه

¹ كما حدث سنة 1681م حيث أسرت البحرية الفرنسية أكثر من 300 أسير مغربي أغلبهم من سلا بعدما كانوا في طريقهم إلى الحج، كما إشتري الفرنسيون في نفس السنة 33 أسير مغربي من الإنجليز، أنظر: عمر بن قايد، المرجع السابق، ص 110.

² نفسه، ص 113 - 114 .

³ محمد علي فارس ومحمد خير فارس، المرجع السابق، ص 97.

الدولة لوضع إستراتيجية للسيطرة على عموم المغرب ،لكن رغم كل هذا كانت هناك إتصالات دبلوماسية ومفاوضات حول تبادل الأسرى بين البلدين ¹.

2. 2: حصار وتحرير الثغور

بعد توطيد النفوذ والسيطرة على القبائل سعى كل سلطان من سلاطين الدولة العلوية الأوائل إلى ممارسة الجهاد لتحرير الثغور فالمولى الرشيد سعى إلى تحرير طنجة وذلك سنة 1667م ، كما حرر السلطان المولى إسماعيل ميناء المعمورة سنة 1092هـ/1681م والعرائش سنة 1101هـ/1689م (التي تعتبر أكثر الثغور أهمية نظرا لموقعها الإستراتيجي) وأصيلا 1691م ، كما سعى إلى تحرير كل من سبتة ومليلية ².

2. 3: الجهاد البحري المغربي ضد الإسبان

إنطلق الجهاد البحري ضد الإسبان منذ الإستقرار الأندلسي بالمغرب ووصول المطرودين مع حقدتهم الدفين على إسبانيا فبدأوا في تفعيل آليات الجهاد البحري منذ النصف الأول من القرن 17م حيث وبمجرد وصول المورسكي إلى المغرب يعلن عن إسلامه صراحة ،ويلجأغلى المجاهدين البحرين ليقوم لعدة سنوات بالنهب والسلب على الشواطئ الإسبانية ³.

وفي هذا الإطار إنتظم المجاهدون البحرين إلى تجهيز حملات على شكل مجموعات تظم كل منها ثلاث إلى خمس سفن شراعية مجهزة بالمجاديف ومحملة بطاقم من 100 إلى 150 فرد مدعومين بالمدفعية ومختلف الأسلحة ،أما مجالات الجهاد فتتصب على إرتياد المنطقة الممتدة بين رأس القديسة ماري ورأس الروك على الشواطئ البرتغالية شمالا إلى نواحي جزر الأرز

¹ عبد الهادي التازي ،المرجع السابق ، ج9 ، ص 107.

² للمزيد حول تحرير الثغور أنظر اليفراني ،روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف ، تح :عبد الوهاب بن منصور ، ط2 ، المكتبة الملكية ، الرباط ، 1995 ، ص 73.

³ محمد رزوق ،المرجع السابق ، ص 323.

ومادير في إنتظار ورود الأساطيل الإسبانية الآتية من الهند الغربية (أمريكا اللاتينية) ثم منطقة الكناري حيث يتم إعتراضهم¹ ومن مظاهر هذا الجهاد البحري في سنة 1684م تعرض القراصنة المغاربة إلى سفينة إسبانية غنموا ما بها من أشخاص وسلع منها 37 مدفع وكمية كبيرة من الفضة وسلع مختلفة، وأمام تعرض مصالحها التجارية للقرصنة والهجمات اضطرت إسبانيا إلى إعادة تعزيز أسطولها البحري في المجالات التي يرتادها المجاهدون البحريون².

2. 4: قضايا الأسرى بين البلدين

تميز النصف الثاني من القرن 17م والربع الأول من القرن 18م بتزايد عدد الأسرى الإسبان بعد سقوط الثغور المحتلة، وأسر أعداد هائلة من الضباط والجنود الإسبان، هذا فضلا على العمليات التي كان يقوم بها قراصنة سلا في مهاجمة السفن الإسبانية والذي نتج عنه العديد من الأسرى الإسبان³.

أولا: الأسرى الإسبان في المغرب

بلغ عدد الأسرى الإسبان بسلا وحدها حوالي 250 ألف أسير حيث كان الأسرى الإسبان يمثلون أكثر من النصف ثم زاد عددهم بالألاف إلى أن نقص إلى 400 أسير سنة 1708م ثم إلى 200 أسير سنة 1723م أما عن أوضاع حياة الأسرى الإسبان في المغرب فقد كان لهم حظوظ كبيرة عكس ما كان عليه الأسرى المسلمين على متن قاليرات السفن الإسبانية، فقد أصدر السلطان مولاي إسماعيل أمره لرؤساء الأسرى بأن لا يجبروا هؤلاء على الإشتغال خارج ساعات العمل المحددة، وأن لا يضربون وأن لا توضع السلاسل في أيديهم وأرجلهم، و لا يلزم ذلك إلا المتعين إجرامه لسرقة أو محاولة فرار، وكان السلطان

¹ حسن أميلي ، المرجع السابق ، ص 20.

² شوقي ضيف ، المرجع السابق ، ص 303

³ أحمد بن خالد الناصري ، المصدر السابق ، ج 7 ، ص ص 63-64.

يتعهد شؤون الأسرى ويقف على أحوالهم بنفسه وينفق عليهم من أموال الدولة وما يأتي من هبات من الدول الأوروبية ، كما كان الأسرى يمارسون شعائرهم الدينية بكل حرية ، ويقيمون حفلاتهم الدينية ويدفن الأموات منهم حسب شعائرهم الدينية في المكان المخصص لهمجرت العادة أن يعرض السلطان على الأسرى المسيحيين المعروضين عليه إعتناق الإسلام ، ويوضح لهم أنهم بإسلامهم يستطيعون التمتع بنفس الحقوق التي يتمتع بها رعاياه ، ويعددهم بالحرية ولم يجبر أحد على إعتناق الإسلام بالقوة¹.

ثانيا: الأسرى المغاربة في إسبانيا

كان في إسبانيا حوالي ألف أسير مغربي إستخدموا كمجذفين على ظهر السفن ، وقد كانوا يعانون من العمل الشاق والمعاملة القاسية وكذا سوء التغذية ، فكانوا يعيشون داخل سجون الموانئ الإسبانية ، ويتم ربطهم بالسلاسل والأغلال². وقد سعى السلاطين المغاربة إلى تحرير أسراهم وخصوصا منهم السلطان المولى إسماعيل وحفيده محمد بن عبد الله فقد كاتبوا ملوك وأمراء أوروبا. ووجهوا السفراء إليهم وبذل الأموال الطائلة في عتق رقابهم فأرسل السفراء من أجل ذلك³.

¹ ،عمر بن قايد ،المرجع السابق ،ص 144

² نفسه ،ص 155

³ تعدد سفراء إلى كل من فرنسا كمحمد تميم سنة 1093هـ/1682م والرايس عبد الله بن عائشة سنة 1101هـ/1682م وإلى إنجلترا كعبد الله بن حدوا العطار سنة 1093هـ/1682م والريس عبد القادر بيريس سنة 1136هـ/1724م ،أنظر: محمد القبلي ،المرجع السابق ،ص 422.

3. العلاقات المغربية البريطانية وتأثير القرصنة عليها:

3.1: بدايات الإتصال المغربي الإنجليزي:

على الرغم من وجود إختلافات أساسية على المستويات الجغرافية والدينية والاقتصادية بين المغرب وبريطانيا، فإن الإهتمامات الإنجليزية بالمغرب كانت باكرة جدا¹.

فلعبت بذلك المبادلات التجارية والمراسلات بين السلاطين السعديين والملكة إليزابيث دورا في تعزيز العلاقات بين البلدين وصولا إلى البعثات السفارية المتبادلة التي توجت بتحالف مغربي بريطاني أثمر بتأسيس شركة بلاد البربر في سنة 1585م، فاحتكرت بذلك بريطانيا التجارة مع المغرب لمدة إثنتي عشر سنة، كما أصدر المنصور في مارس 1588م ظهيرا منح إمتيازات وحماية خاصة للتجار البريطانيين في المغرب².

3.2: العلاقات المغربية البريطانية بين المد والجزر :

إحتل تبادل الأسرى حيزا هاما في تحديد العلاقات بين المغرب وإنجلترا، حيث وجه العاهل البريطاني جاك الأول إلى الملك زيدان بعثة سفارية ترأسها هاريسون سنة 1610م، وكان الهدف منها هو إجراء مباحثات لتسريح الأسرى البريطانيين المحجوزين وقتئذ بالمغرب، ويبدو أن المفاوضات كانت عسيرة لأن هاريسون تردد على المغرب ثلاث مرات إضافية دون أن يتحقق أي نجاح في حل مشكل الأسرى³.

¹ كان أول إتصال بين البلدين في العقد الأول من القرن الثالث عشر حين بادر العاهل البريطاني جون إلى توجيه بعثة سرية إلى المغرب أيام السلطان الموحدي محمد الناصر كلفها بمهمة الحصول على مساعدة مغربية لمواجهة التهديدات الفرنسية، أنظر: خالد بن الضغير، المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، رسائل وأطروحات رقم 37، ط02، الدار البيضاء، 1997م، ص 37.

² مصطفى بوشعراء، الإستيطان والحماية بالمغرب، تق: عبد الوهاب بنمنصور، ج01، المطبعة الملكية، الرباط، دط، 1984م، ص299.

³ محمد المنوي، المرجع السابق، ص 24

كما تمكن الموريسكيون في المغرب بمساعدة الهولنديين من مهاجمة المراكب البريطانية التي كانت تنافس مثلتها الهولندية، ثم بدأت الرحلات الدبلوماسية البريطانية إلى المغرب لتحرير الأسرى حيث بلغ عددها ما بين سنتي 1620م إلى 1632م أربع رحلات قام بها هاريسون الذي إتفق مع العياشي بتاريخ 10 ماي 1627م بتزويده بالعدة والسلاح مقابل مساهمته في فك الأسرى البريطانيين الذين بلغ عددهم 190 أسير¹.

وبعد أن أدرك الإنجليز أهمية طنجة بموقعها على الساحل الجنوبي للمدخل الغربي لجبل طارق، وما يمكن أن توفره من مؤهلات قاموا بالدخول إليها في 30 يناير 1662م وتمكنوا من البقاء فيها إلى غاية وصول المولى إسماعيل إلى الحكم فقاموا بتسليمها إليه وذلك بعد المضايقات والحصار الذي فرضه عليهم وكان ذلك في 05 نوفمبر 1683م، وفي أعقاب انسحاب الإنجليز من طنجة قام المولى إسماعيل بتسريح 69 أسير إنجليزي².

استمرت الصلات المغربية البريطانية تتأرجح بين العلاقات السلمية والعدوانية وبين التقطع والإستمرار، وذلك عن طريق السفارات والرسائل وتوقيع المعاهدات التي دارت أغلبها حول التجارة البحرية وقضايا الأسرى التي كانت أهمها قضية أسر عبد الله بن عائشة الذي كان يعتبره المولى إسماعيل أكبر قواده البحريين وقائد أسطوله، والذي بقي في الأسر لمدة ثلاث سنوات حتى توسط له جيمس دوق بورك القائد الأعلى للأسطول الإنجليزي فتم إطلاق سراحه دون دفع أي فدية³.

أما عن محتوى هذه المعاهدات والاتفاقيات بين المغرب والإنجليز فهي جميعا تتشابه فكانت تنص أولا على تخليص الأسرى بقدر معين، وبند آخر ينص على حرية التجارة بين البلدين

¹ روجرز، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى 1900م، تر: يونان ليب رزق، دار الثقافة، الرباط، ط01، 1981م، ص59.

² خالد بن الصغير، المرجع السابق، ص43.

³ روجرز، المرجع السابق، ص81.

وبند ثان يحدد شكيلات العلاقة بين سفن الطرفين إذ ينص على عدم القيام بأي عمل عدواني تجاه الطرف الآخر، وغالبا ماتكون المفاوضات شاقة وعسيرة خاصة أنها تتعلق بتحرير الأسرى ولا تمضى إلا بعد إستعراض الأسطول الإنجليزي بالمنطقة¹.

مجمل القول:

- عرفت علاقات المغرب الأقصى مع فرنسا في النصف الأول من القرن السابع عشر تباينا ملحوظا تمثل في إعتماد المغاربة على سفراء إلى البلاط الفرنسي، أما التواجد الفرنسي في المغرب الأقصى في هذه الفترة فكان بإنشاء الممثلات القنصلية على التراب المغربي، وإقامة وعقد إتفاقيات مع مختلف القوى المغربية، كما كثر التواجد التجاري الفرنسي محاولين حل القضايا المطروحة بينهما كالقرصنة والأسرى.

- وفيما يتعلق بعلاقات المغرب السياسية مع إسبانيا في النصف الأول من القرن السابع عشر فتتمثل في محاولاتها للسيطرة على الموانئ المغربية، وكانت ردود فعل هذه الأخيرة بالجهاد لإسترجاع هذه الموانئ وظهور منظمات الإفتداء للأسرى بين البلدين، وكذا تطور ظاهرة القرصنة والجوسسة في المغرب.

- أما عن العلاقات المغربية الإنجليزية فقد كانت بدايتها تجارية ناجحة جدا وذات عائد وفير على الطرفين، ثم تخللتها بعض المناوشات البحرية التي أسفرت عن إتفاقيات ومعاهدات وسفرات بين البلدين حول التجارة البحرية وإفتكاك الأسرى.

إستنتاج عام:

- كانت الرحلات البحرية والمواسم الجهادية تختلف من فترة إلى أخرى، وذلك راجع إلى الأخطار والعواصف البحرية فقد كانت تتوقف في فصل الشتاء نظرا لصعوبة الملاحة فيه لتعود وتنطلق مجددا في فصل مؤمنا مراكبها محددا خط سيرها بدقة.

¹ محمد رزوق، المرجع السابق، ص ص 223-224.

- تنوع توزيع غنائم القرصنة المغربية بمختلف أنواعها من أسرى وهي أهمها وكذا من مختلف الأسلاب، فكانت في البداية تقسم بطريقة عادلة بين أعضاء ومجهزها ثم أصبحت تدريجيا تحتكر من طرف السلطان بصفته مالكا للسفينة ومجهزا لها.
- أما عن جهود سلاطين المغرب في تدعيم وتقوية الأسطول البحري، فقد ساهم المولى إسماعيل في زيادة عدد سفنه وتقوية تجهيزاته، كما قام المولى محمد بن عبد الله بتجديد تكويناته وإكرام رؤساء البحرية بالمال والعتاد وإنشاء مصانع للسفن الحربية.
- انعكست القرصنة المغربية وبشكل كبير على علاقات المغرب الخارجية فقد سعت مختلف الدول الأوروبية إلى كسب وده، وإبرام المعاهدات والإتفاقيات معه والتي كانت أغلبها حول التجارة البحرية وكذا قضايا الأسرى وإفداءهم هذه الأخيرة التي جعلت المغرب يتحكم في زمام الأمور ويفرض وجوده في الكثير من الأوقات.

من خلال دراستنا لموضوع الجهاد البحري في المغرب الأقصى خلال القرن السابع عشر ميلادي توصلنا إلى جملة من الإستنتاجات أهمها :

- إن الصراع بين أفراد البيت السعدي كان من الأسباب القوية التي عجلت بنهاية الأسرة السعدية سريعا وإنهيارها ،بل إنه كان العامل الأول في ظهور إمارات مستقلة عن الحكومة المركزية في المغرب الأقصى ،والتي دخلت في صراع فيما بينها من أجل الحدود والتوسع كل إمارة على حساب أخرى إلا أن البعض من هاته الإمارات قد كان لها دور في محاربة المحتلين من الإسبان والبرتغال وحققوا بعض الإنتصارات عليهم.

- تميز المغرب الأقصى في نهاية القرن 15 حتى نهاية القرن 17 بكثرة الزوايا وكان دورها يختلف من ديني الى سياسي وعلمي وجهادي ،وهي السمة الغالبة التي طبعتها ،فكانت الحركة الجهادية التحريرية من أقوى الدوافع لإنتشار الزوايا وإتساع نفوذها وقوة تأثيرها على الساحة المغربية في تلك الفترة ومن أهمها نذكر الزاوية العياشية والدلائية.

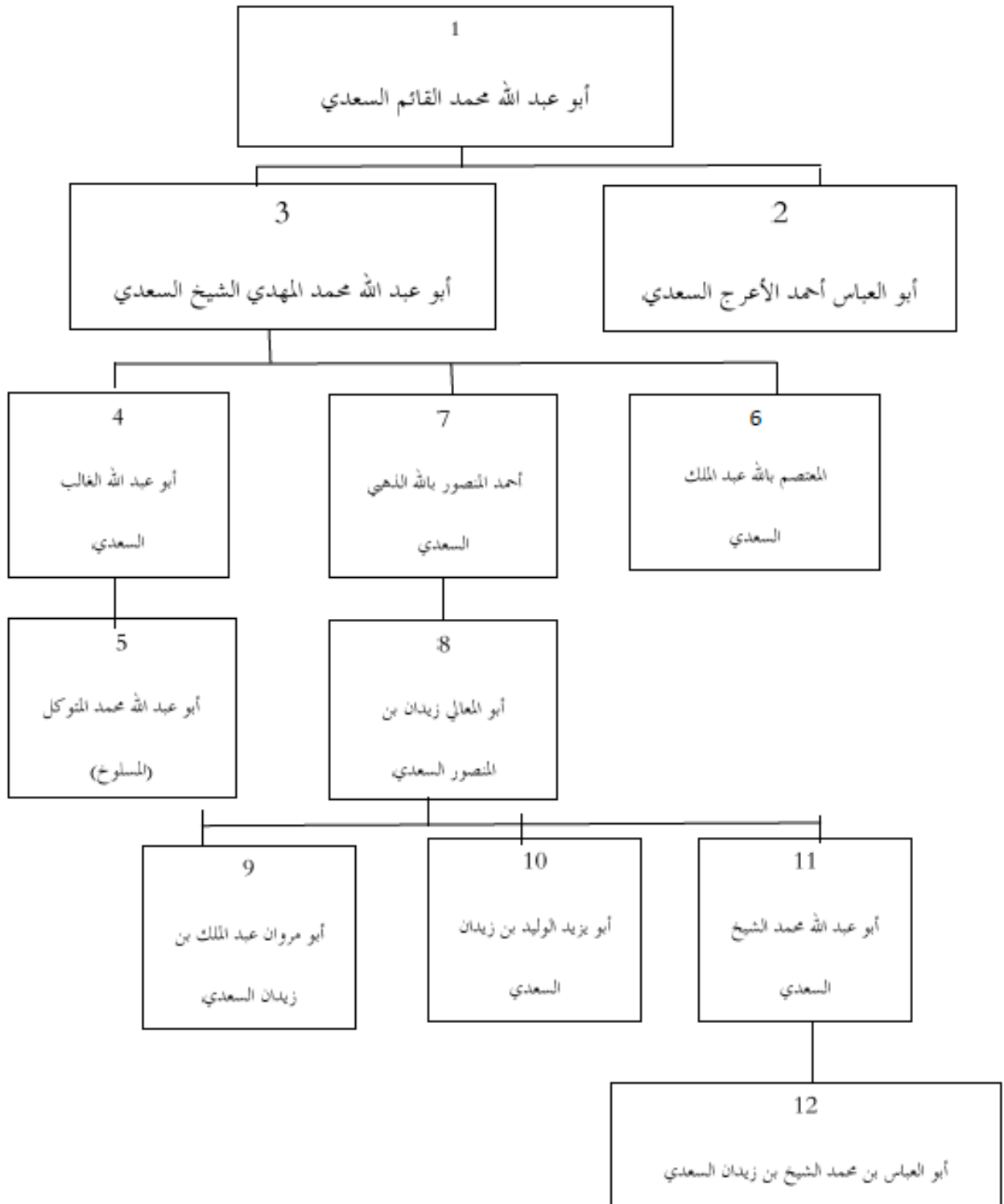
- تعرض المغرب الأقصى تحت وطأة ظروف الضعف والتنازع والتجزؤ إلى موجة غزو لمدنه الساحلية حيث تمكن الإسبان من إحتلال بعض المواقع من المغرب مثل غساسنة سنة 1504م وحجر بادس سنة 1508م ،وإحتل البرتغاليون أغادير سنة 1505م وأسفي سنة 1508م وأزمور سنة 1513م ،في حين كانت هناك مواقع محتلة منذ القرن 15م من قبل البرتغاليين مثل سبتة سنة 1415م وطنجة سنة 1471م وأصيلا سنة 1471م.

- الظروف التي آل إليها المغرب الأقصى من ضعف وإنقسام أدت إلى ظهور العلويين ليبدأ دورهم على مسرح الأحداث إنطلاقا من سجلماسة وقد نصّبوا أعينهم على توحيد المغرب كله وإنهاء عهد التفرقة وتحرير كل الجيوب من قبضة

- المحتلين وتكوين الدولة العلوية التي كتب لها أن تؤسس على يد المولى الرشيد بعد أن نجح في القضاء على معظم الإمارات المستقلة.
- أمام الإجتياح المسيحي الصليبي للشريط الساحلي المغاربي ومدنه الرئيسية التي كانت تمثل مناطق الاتصال بالعالم الخارجي، أحس السكان بالضجر والاختناق إضافة إلى عجز الدويلات المغاربية عن حمايتهم وما زاد الطين بلّة توافد الآلاف من الأندلسيين على البلدان المغاربية هرباً من حملات التنكيل والتعذيب التي إرتكبت في حقهم، وقد حمل هؤلاء المهاجرين حقدهم على الإسبان مما جعل سكان المدن الساحلية المغاربية يلجؤون إلى عمليات الجهاد البحري لمواجهة الخطر الخارجي، هذا الجهاد الذي أطلق عليه الغرييون مصطلح القرصنة رغم مشروعيته.
 - ساهمت خبرة الأندلسيين المهاجرين بالإضافة إلى مساعدة السكان الأصليين في خلق نشاط بحري جهادي بعد أن إستقروا في مدن ساحلية مثل مصب أبي رقراق وتكوين الجمهوريات الثلاث، بالإضافة إلى المساهمة في إعادة إنشاء وتطوير أسطول مغربي تمكنوا من خلاله تبؤ مرتبة رئيسية على مستوى النشاط الملاحي الإسلامي كأقصى مركز غربي وكأهم قاعدة جهادية بحرية بعد مدينة الجزائر.
 - عرفت عائدات البحرية من غنائم وأسرى تطوراً وتزايداً في المداخيل وإثراء في الخزينة، الأمر الذي كان دافعا قويا لدى سلاطين المغرب الأقصى وكذا رياس البحر لتطوير هذا النشاط حتى دخل شيئاً فشيئاً تحت ظل إشراف الدولة عليه.
 - ساهم العديد من السلاطين المغاربة في تطوير وتقوية الأسطول البحري المغرب فقد ساهم كل من المولى إسماعيل والمولى محمد بن عبد الله بزيادة عدد سفنه وتقوية تجهيزاته إنشاء مصانع لصنع السفن البحرية .

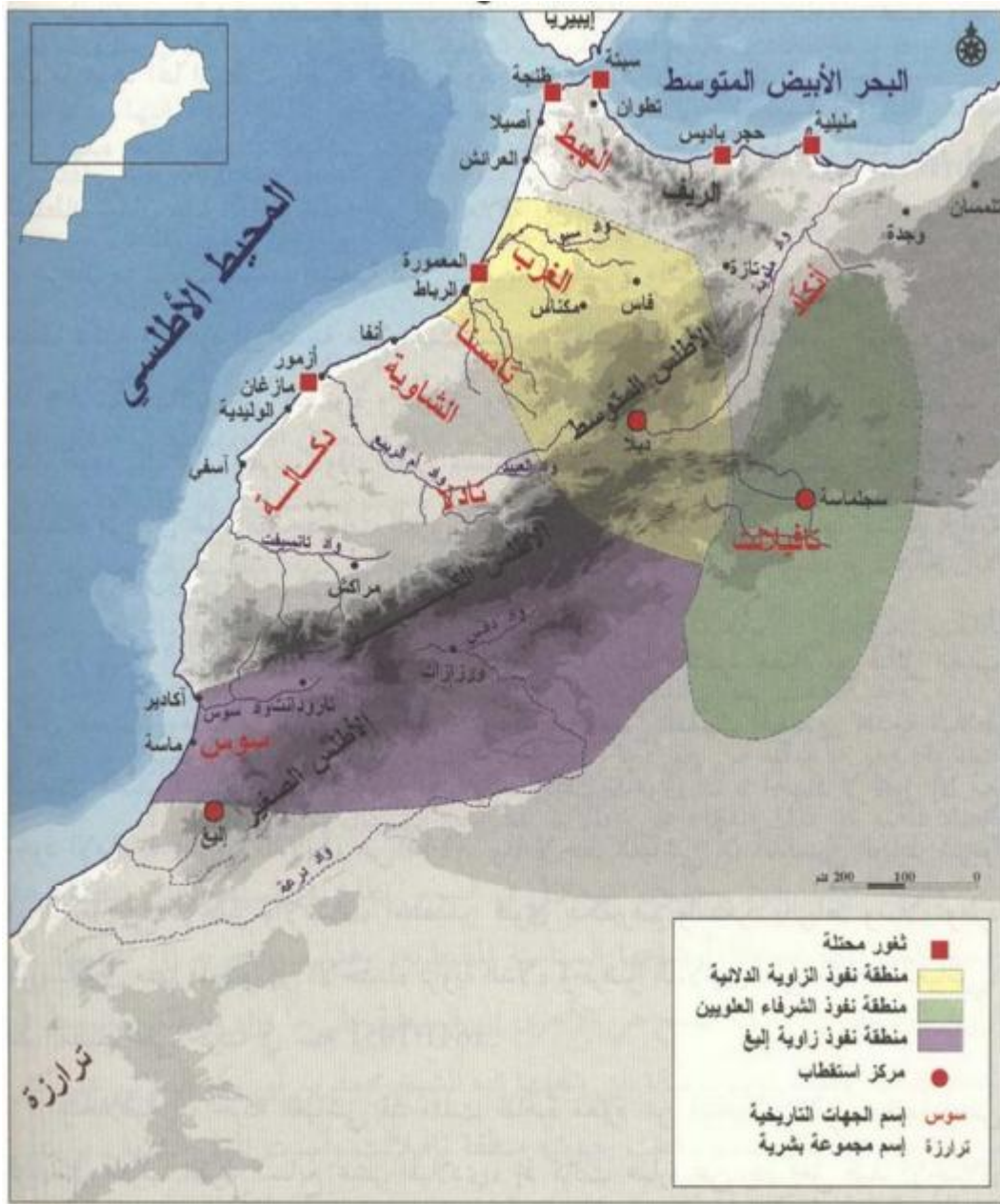
- إنعكس النشاط القرصني المغربي سلبا على جل الدول الأروبية هته الأخيرة التي دعمت أسلوب المعاهدات والمهادنة مع المغرب عن طريق مايعرف بالتمثيل الدبلوماسي وإرسال الرسائل والسفارات.
- إحتل تبادل الأسري حيزا هاما في تحديد علاقات المغرب بالدول الأوربية خاصة الفرنسية والإسبانية والإنجليزية منها ،لذلك انتهجت السفارات بينهم للوصول إلى ربط معاهدات تأرجحت بين القبول والرفض ،وذلك في إطار دبلوماسي دون تنافي وجود بعض المناوشات البحرية الحربية.

ملحق رقم 01 : ملوك الدولة السعدية¹



¹ محمد القادري، المصدر السابق ، ص 209

ملحق رقم 02 :المكونات المجالية و مناطق نفوذ الزوايا و الشرفاء العلويين ²



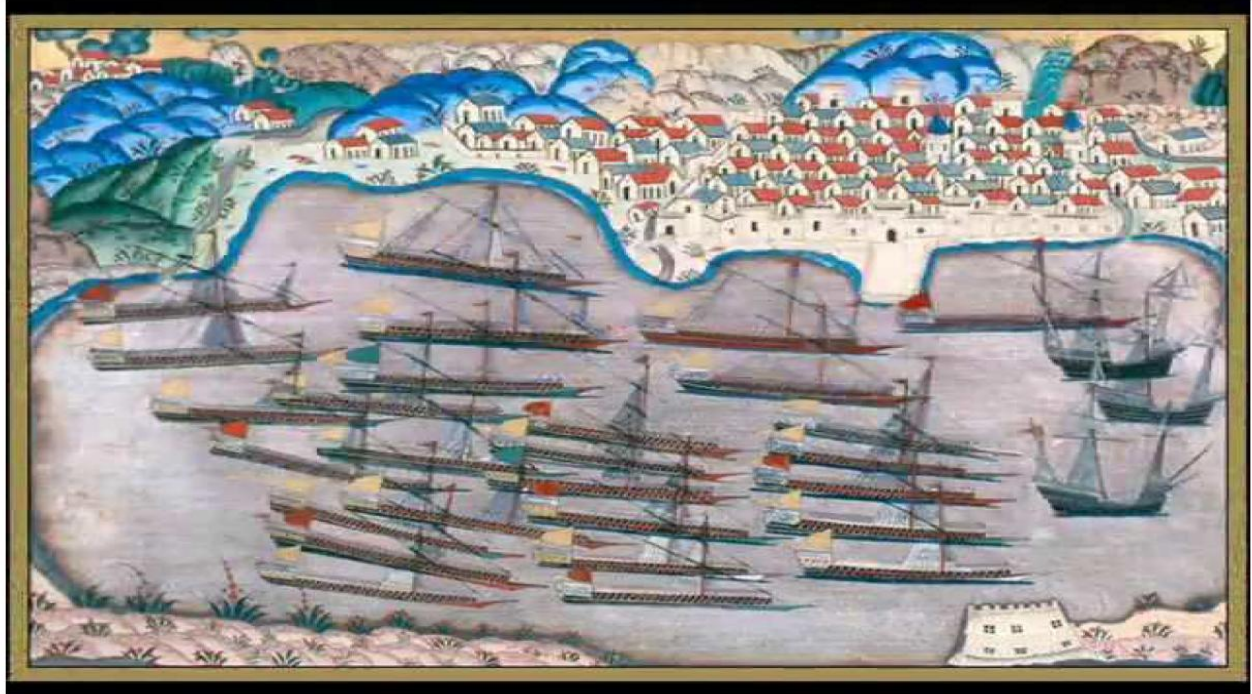
الملحق رقم 03 : سفن مراكب سلا³،

² إبراهيم حركات ، المرجع السابق ، ص 52 .



³ احمد بو شارب ، المرجع السابق، ص 52

ملحق رقم 04 : سفن سلا⁴



⁴ احمد بو شارب ، المرجع السابق ، ص 54

أولاً: المصادر

- 1- الأفراني محمد ،صفوة من إنتشر من صلحاء القرن الحادي عشر ،تح: عبد المجيد خيالي ،ط1،مركز التراث الثقافي المغربي ،الدار البيضاء ،المغرب ،2004 م.
- 2- ابن أبي الضياف ،تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان : تح :لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ،مجلد 2 ،ج3 ،الدار العربية للكتاب ،1991 م.
- 3- ابن خلدون ،المقدمة، دار الفكر للنشر والطباعة والتوزيع ،بيروت ،لبنان ،(1224 هـ 2004م).
- 4- بن زيدان عبد الرحمان، الدرر الفاخرة بمأثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة ، المطبعة الإقتصادية ،الرباط ،(د.ت.ن) .
- 5- جعفر الناصري ،ج3 ،أكاديمية المملكة المغربية ،الرباط ،(د.ت).
- 6- الحموي ياقوت ،معجم البلدان ،دار صدر ،لبنان ، (د.ت).
- 7- الراشدي أحمد بن محمد سحنون ،الشجر الجماني في ابتسام الشجر الوهراني ،تح :المهدي البوعبدلي ،منشورات وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية ،الجزائر ،1973 م .
- 8- الرباطي محمد الضعيف ،تاريخ الضعيف ،تح: أحمد عماري ،ط1 ،دار المأثورات ،الرباط،1986م.
- 9- الزباني أبو القاسم ،الترجمة الكبرى ،باريس ،1886م.

- 10- السبتي محمد بن القاسم الأنصاري ،إختصار الأخبار عما كان بثغر سبته من سني الأثار، ج 1، تح :عبد الوهاب بن منصور ، ط 2 ،الرباط (1404 هـ - 1983 م).
- 11- الشاذلي عبد اللطيف ، الحركة العياشية حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17م ، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،1984م .
- 12- الشراط أبو عبد الله بن عيشون ،الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ،تح: زهراء النظام ، ط1 ،مطبعة النجاح ،الدار البيضاء ،1997م.
- 13- الشفشاوني محمد بن عسكر الحسني ،دوحة الناشر ،تح:محمد حجي ، ط2 ،دوحة الناشر ،مطبوعات دار التأليف للترجمة والنشر ،الرباط ،1977م.
- 14- العياشي أبي سالم ،إتحاف الإخلاء بإنجازات المشايخ الأجلاء ،تح: محمد الزاهي ،دار الغرب الإسلامي ، ط1 ،1999م.
- 15- العياشي أبي سالم ،ماء الموائد للعياشي الرحلة لبيبا طرابلس وبرقة ،تح: سعد زغلول وآخرون ،الإسكندرية ،(دت).
- 16- القادري محمد بن الطيب ،نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني ،تح: محمد حجي ، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،1996م.
- 17- القشتالي أبي الفارس عبد العزيز ،مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفاء ،تح :عبد الكريم كريم ،مطبوعات وزارة الأوقاف ،المغرب ،(دت).

- 18- كرنجال مارمول ،إفريقيا ،ج2 ،تر: محمد حجي وآخرون ،الجمعية المغربية للتأليف ،الإسكندرية ، (1988. 1989 م) .
- 19- المجهول ،تاريخ الدولة السعدية التكمذارتية ،تح:عبد الرحيم بن حادة ،ط1،دار تينمل للطباعة والنشر ،مراكش ،1994م .
- 20- الناصري أبو العباس أحمد ،الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، ج 6، تح :جعفر الناصري ،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،(1418هـ1997م).
- 21- الناصري جعفر بن أحمد ،سلا ورباط الفتح وأسطولهما وقرصنتها الجهادية ،تح: أحمد بن
- 22- الوزان الحسن ، وصف إفريقيا،ج1 ،تر:محمد حجي ،ط2،منشورات الجمعية المغربية ،1998م.
- 23- الوفرائي محمد الصغير بن الحاج بن عبد الله ،نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي ،تح :هوداس ،مطبعة أنجي ،1888 م.
- 24- اليفرائي ،روضة التعريف بمفاخر مولانا إسماعيل الشريف ، تح :عبد الوهاب بن منصور ،ط2 ،المكتبة الملكية ،الرباط ،1995 م.

- 1- الأرقش دلندة وآخرون ،المغرب العربي الحديث خلال المصادر ،مركز النشر الجامعي ،ميديا كوم ،2003م.
- 2- أميلي حسن ،الجهاد البحري عند مصب أبي الرقراق ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،جامعة الحسن الثاني ،الدار البيضاء،(دم ن).
- 3- بركات وفيق ،فن الحرب البحرية في التاريخ العربي الإسلامي ،معهد التراث العلمي العربي ،1990م.
- 4- بلقدم رقية ،البحر في تاريخ المغرب ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،سلسلة ندوات رقم 7 ،جامعة الحسن الثاني ،المحمدية ، (دت).
- 5- بن الصغير خالد ،المغرب وبريطانيا العظمى في القرن 19م ،ط2، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ،رسائل وأطروحات رقم 37 ،الدار البيضاء ،1997م
- 6- بوشارب أحمد ،قراصنة المحيط الأطلسي ،(ددرن) ،المغرب ،1998م.
- 7- بوشارب أحمد ،وثائق ونتائج عن الغزو البرتغالي ونتائجه ،ط1، دار الأمان ،الرباط، 1997 م .
- 8- بوشعراء مصطفى ،الإستييطان والحماية بالمغرب ،تق: عبد الوهاب بن منصور ،ج01 ،المطبعة الملكية ،الرباط ،1984م.
- 9- بوكاري أحمد ،الزاوية الشرقاوية زاوية أبي الجعد وإشعاعها العلمي والثقافي ،ط1 ،مطبعة النجاح الجديدة ،الرباط ،1985م .

- 10- التازي عبد الهادي ،التاريخ الدبلوماسي للمغرب ،10ج، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ،الرباط،2009م .
- 11- جلال يحي ،المولى إسماعيل وتحرير الثغور المحتلة ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ، 1983 م.
- 12- الجمل شوقي عطاء الله ،المغرب العربي الكبير في العصر الحديث (ليبيا ،تونس ،الجزائر،المغرب) ،ط1، مكتبة أنجلوا المصرية ،القاهرة ، 1987 م.
- 13- حجي محمد ،المورسكيون في الأندلس ، سلسلة ندوات شفشاون ،مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية ،2000.
- 14- حجي محمد ،الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي ،المطبعة الوطنية بالرباط ،(1384 هـ/1964م).
- 15- حركات إبراهيم ، السياسة والمجتمع في العصر السعدي ،دار الرشاد الحديثة ،الدار البيضاء ،المغرب ،1585م.
- 16- حركات إبراهيم ،المغرب عبر التاريخ ، ج 2 ،من بداية المرينين إلى نهاية السعديين ،دار الرشاد ،الدار البيضاء ،2015 م .
- 17- حمادي عبد الله ،المورسكيون ومحاكم التفتيش في الأندلس (1492م/1616م)، ط 1 ،دار الأملية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2011م.
- 18- داود محمد ،تاريخ تطوان ،معهد مولاي الحسن ،تطوان ،المغرب ،1999م.

- 19- رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم إلى المغرب خلال القرنين 16 و17 م
، مطابع إفريقيا الشرق ،المغرب ،1958م .
- 20- الزمزمي محمد ،الزاوية و مافيه من البدع والأعمال المنكرة ،مطبعة إسبارطيل ،
(د.ت).
- 21- السويسي عبد الله ،تاريخ رباط الفتح ،مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر
،الرباط ، (1399هـ. 1979م).
- 22- السيد محمود ،تاريخ دول المغرب العربي ،مؤسسة الشباب الجامعة ،مصر ،2000م
.
- 23- شكري عبد الرحيم ،الصراع بين المغرب وإسبانيا خلال القرنين 16 و17ممن خلال
وثيقة تتعلق بالجهاد البحري والأسرى ثم العلوج ،سلسلة ندوات ومناظرات رقم 64
،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط ،1979م .
- 24- الشيت محمود ،خطاب قادة فتح المغرب العربي ،ج2 ،ط7 ،دار الفكر ،لبنان
،1984م.
- 25- الصالح صبحي ، الحماية من القرصنة في نظر الشريعة الإسلامية ،أعمال أكاديمية
المملكة المغربية ،الدورة 9 ،الرباط ،المغرب ،1986م.
- 26- الصقلي العربي ، مذكرات من التاريخ المغربي ،من تميمين الدولة إلى المخاطر ،ج3
،الرباط ،المغرب الأقصى ،1985م.

- 27- ضيف الله شوقي ،تاريخ الأدب العربي عصر الدويلات والإمارات (الجزائر. المغرب الأقصى . موريطانيا . السودان) ط1 ،دار المعارف ،القاهرة ،(دت).
- 28- عبد الرحمان حقودة و آخرون ،تاريخ الحضارة العربية الإسلامية ،ط1 ،مركز المناهج ،2005 م.
- 29- عبد العزيز سالم و مختار العيادي ،تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1996م.
- 30- علي الحجي عبد الرحمان ،التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة (711 هـ . 1492م) ،ط2 ،دار القلم ،دمشق ،1981م.
- 31- علي عامر محمود وفارس محمد خير ،تاريخ المغرب العربي الحديث (المغرب الأقصى ،ليبيا) ،ج1 ،الجمعية التعاونية للطباعة ،دمشق ،(د . ت).
- 32- عنان محمد عبد الله ،دولة الإسلام في الأندلس العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصرين ،ط1 ،مطبعة المدني ،مصر ،1997م.
- 33- الغنيمي عبد الفتاح مقلد ،موسوعة تاريخ المغرب العربي (دراسة في التاريخ الإسلامي)مجلد 03 ،ج5 ،مكتبة المدبولي ،القاهرة ،1994 م.
- 34- فهمي علي محمود ،التنظيم البحري الإسلامي في الشرق المتوسط من القرن 7م حتى 10م ، (دم ن) ،(دس ن).

- 35- القبلي محمد ،تاريخ المغرب تحيين وتركيب ،منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ،الرباط ،2011 م.
- 36- القصي الحسين ،الحضارة العربية حتى العصرين المملوكي والعثماني ،ط1،المؤسسة الحديثة للكتاب ،لبنان ،2004 م.
- 37- قنان جمال ، معاهدات الجزائر مع فرنسا1619/1830م ،المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار ،الجزائر ،2007م.
- 38- كريم عبد الكريم ،المغرب في عهد الدولة السعدية ،المملكة العربية للنشر ،الرباط ،(دت).
- 39- لعميري محمد و آخرون ،الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19م،منشورات الآداب وحدة سلسلة الندوات والمحاضرات ،رقم 3، الدار البيضاء ،1994م.
- 40- مصطفى عبد الكريم ،معجم المصطلحات والألقاب التاريخية ،ط1، مؤسسة الرسالة ،لبنان ،1996م.
- 41- المنصوري عثمان ،البحر في تاريخ المغرب ،تح:عبد الجواد السقاط ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالمحمدية ،سلسلة الندوات 7 ،جامعة الحسن الثاني ،المحمدية ،(د ت) .

- 42- المنهاوي محمد ، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب ، ج2 ، جامعة الحسن الثاني ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق ، الدار البيضاء يحياوي جمال ، سقوط غرناطة ومأساة الأندلس (1492م/1610م) ، دار هومة للطباعة والنشر ، الجزائر ، 2004 م.

ثالثا :المراجع المعرّبة

- 1- براون كينيث ، موجز تاريخ سلا ، تر: محمد جيدة وأناس لعلو ، منشورات الأمل ، ط01 ، الدار البيضاء ، 2001م.
- 2- روجرز ، تاريخ العلاقات الإنجليزية المغربية حتى 1900م ، تر: يونان ليب رزق ، دار الثقافة ، الرباط ، ط01 ، 1981م.
- 3- كاريطا روي ، صورة الإسلام في البرتغال وجزيرة مديرا ، ندوة لجنة التراث، آسفي 7-9 أكتوبر 2004م.
- 4- كواندروا روجي ، قراصنة سلا ، تر: محمد حمود ، المعهد الجامعي للبحث العلمي ، جامعة محمد الخامس ، الرباط ، 1991م.
- 5- لومبار موريس ، الإسلام في مجده الأول ، تر: إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1997 .

رابعا :المراجع بالأجنبية

Fernand praudel : la mediterranee et le monde
mediterraneen a l epoque de philippell ; 3t ; 9eme edition
.armand col .paris 1990 , t 1, pp300 301

خامسا : المجلات والدوريات

1- أمين محمد ، القرصنة وشروط إفتداء الأسرى الإسبان بالجزائر في القرن 18، في

المجلة التاريخية العربية للدراسات العثمانية ، ع21 ، مؤسسة التميمي للبحث العلمي

والمعلومات ، تونس ، سبتمبر ، 2000م.

2- حجي محمد ، الأسطول المغربي أيام العلويين ، في مجلة دعوة الحق ، من العدد 116

، مجلة شهرية تعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والفكر ، الرباط ، المغرب ، 1957،

م .

3- حجي محمد ، من أخبار القرصنة والجهاد البحري ، في مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف

والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ع4 ، مارس 1969م.

4- حركات إبراهيم ، مساهمة المغرب في الجهاد البحري بعد طرد المورسكيين من

الأندلس ، في مجلة دعوة الحق ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ع6 و7 ، الرباط

، 1979م.

- 5- حركات إبراهيم ،مساهمة المغرب في حركة الجهاد البحري بعد طرد المورسكيين من الأندلس ،في مجلة دعوة الحق ،تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،عدد6 و7 ،السنة العشرون ،الرباط، المغرب ،1979م .
- 6- السايح محمد ،المولى إسماعيل العلوي ،في مجلة دعوة الحق ،العدد 2 ،الرباط ،1959م.
- 7- السعدي المهدي بن محمد ،وثائق إسبانية حول تأسيس مدينة أغادير المغربية ،في مجلة التاريخ العربي ،ع26 ،04/06/2009م.
- 8- الشاوش محمد العربي ،مشروعية الجهاد وفضله ،في مجلة دعوة الحق ،تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،ع1،الرباط ،المغرب ،مارس 1981م.
- 9- العياشي ،عيوب طنجة في التاريخ المعاصر ،1800/1956م ،في مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والمدرسة العليا للترجمة بطنجة ،الرباط ،1991م.
- 10- الفاسي محمد ،إحتلال البرتغاليين للشغور المغربية الذي أدى إلي موقعة وادي المخازن ،في مجلة دعوة الحق ،وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،عدد8،الرباط ،المغرب ،1978م .
- 11- الفقيقي حسن ،مواقف جهادية للمولى الرشيد والمولى إسماعيل في الدفاع عن مليلة ،في مجلة دعوة الحق ،عدد 258 ،الرباط ،1986م .

12- كنون عبد الله ،عبد الملك المعتصم بطل معركة وادي المخازن ،في مجلة المناهل

:العدد 13 ،وزارة الدولة المكلفة بالشؤون الثقافية ،المغرب ،1918م.

13- المنوني محمد ،من أوجه علاقات المغرب الخارجية عبر التاريخ ،في مجلة أمل ، ع 05

،السنة 02 ،1994م .

سادسا: المذكرات

1- بن قائد عمر ،علاقات المغرب الأقصى السياسية مع دول غرب أوروبا المتوسطية

فرنسا إسبانيا من (1069م- 1139هـ) (1659-1727م) ،مذكرة لنيل شهادة

الماجستير في التاريخ الحديث ،المركز الجامعي بغرداية ،الجزائر ،2011م.

2- بن قומר جلول ،وادي المخازن وأثرها في العلاقات المغربية مع دول غرب أوروبا

،(البرتغال وإسبانيا) 1603/1578م رسالة ماجستير ،المركز الجامعي بغرداية .

3- كليل صالح ،سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب

الأوسط ،رسالة ماجستير ،جامعة العقيد الحاج لخضر ،باتنة ، (2006 2007) .

فهرس المحتويات

الشكر والتقدير

الإهداء

الصفحة

أ	مقدمة
	الفصل الأول :الأوضاع السياسية للمغرب الأقصى أواخر القرن 16 وبداية
08	القرن 17م
09	المبحث الأول:نهاية المنصور والصراع بين أولاده
10	النزاع على الملك وضعف الدولة السعدية
13	وفاة زيدان
13	تعاقب أبناء زيدان على الحكم
14	نهاية الدولة السعدية
16	تردي الوضع الإقتصادي والإجتماعي
18	المبحث الثاني: الزعامات المحلية
19	الحركة العياشية
20	نشأة الحركة العياشية الجهادية
21	التصادم مع السلطة وسقوط العياشيين
23	الحركة الدلائية
23	أصل الدلائيين
24	الدلائيون والسياسة
26	المنافسة الدلائية العلوية على السلطة
27	العلاقة بين الزعامات المحلية والسلطة

27	المبحث الثالث: تأسيس الدولة العلوية
29	عهد المولى إسماعيل
30	تحرير وحصار الثغور المحتلة
33	وفاة المولى سليمان
35	إستنتاج عام
37	الفصل الثاني: من الجهاد البحري إلى القرصنة
38	المبحث الأول: تعريف الجهاد البحري وعوامل ظهوره بالمغرب
38	تعريف الجهاد البحري
40	مفهوم القرصنة المحلية
41	الجهاد البحري في المغرب الأقصى
43	أهم المراكز الساحلية بالمغرب الأقصى
45	تطور الجهاد البحري في المغرب الأقصى
48	عوامل ظهور الجهاد البحري في المغرب الأقصى
50	المبحث الثاني: أهم القواعد البحرية للجهاد في المغرب الأقصى
50	مصب أبي رقرق
54	جمهوريات مصب أبي رقرق
57	تكون الجمهوريات الثلاث
59	بداية الجهاد البحري عند جمهوريات أبي رقرق
62	المبحث الثالث: طرق ووسائل الجهاد البحري في المغرب الأقصى
62	الإمكانيات البشرية
69	السفانة والمعدات الحربية
73	الموارد المالية

75.....	الفصل الثالث: تأثير القرصنة على العلاقات الخارجية للمغرب الأقصى.....
77.....	المبحث الأول: مواسم الجهاد البحري وطرق توزيع الغنائم.....
77.....	مواسم الجهاد البحري.....
78.....	مراحل الجهاد البحري.....
82.....	طرق توزيع الغنائم.....
85.....	● المبحث الثاني: الأسطول البحري المغربي بين التفعيل والإنكماش.....
86.....	جهود أهم السلاطين المغاربة في تقوية الأسطول البحري.....
90.....	● المبحث الثالث: انعكاسات القرصنة المغربية على الدول الأوروبية.....
92.....	أثر القرصنة على العلاقات المغربية الفرنسية.....
94.....	أهم الحملات الفرنسية على المغرب الأقصى.....
96.....	مسائل الأسرى بين البلدين.....
97.....	تأثير القرصنة على العلاقات الإسبانية المغربية.....
98.....	قضايا الأسرى بين البلدين.....
100.....	العلاقات المغربية البريطانية وتأثير القرصنة عليها.....
101.....	العلاقات البريطانية المغربية بين المد والجزر.....
103.....	إستنتاج عام.....
105.....	● الخاتمة.....
109.....	● الملاحق.....
.....	● البيبليوغرافيا.....